الوشاح الأحمر
تفريد مصباح

الوشاح الأحمر

RED SCARF

رواية

تغريد مصباح

الوشاح الأحمر

رواية

تغريد مصباح

عدد الصفحات ١٠٠ صفحة

طبعة أولى ٢٠١٨/١١/٦

الناشر : تمكين للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٨٢٧٨٠

الترقيم الدولي : ٨٩٨-٩٩٩-٨٧٠٠-٠٤-١

إهداء

أمـي .. أيتهـا الغاليـة الحبيبـة ، وأنـتِ في دار الحـق ، أكتـب إليـك ، ليتك ما زلتِ على قيد الحياة ، لأُطربُ أذني بدعواتك ، التي كنتِ تمطرينني بها دوما .

تغريد مصباح

(في حياة كل منا وهم جميل ، يسمى الحب الأول .. لا تصدق .. فان حبك الأول هو حبك الأخير)

إحسان عبد القدوس

الفصل الأول

ـ ١ ـ

اقتربت الأجازة على الانتهاء ، عشرة أيام لا تكفي ، أعاشرك عشرا وأفارقك عشرين ، ما أصعب لحظات الفراق ، يا أميرتي النائمة ، يا ملاكي البريء ، طفلتي الصغيرة ، عشقي الأول والأخير ..

لم يكن أحد يتصور أن أعشق بهذا العنف ، بل أن أتزوج من الأساس ، بعدما أخذتني الحياة العسكرية بصرامتها . حياتي باتت أشبه بجدول مدرسي أمارس فيه طقوس يومية لا تنقطع ، منذ الصباح الباكر ، طوابير ، تدريبات ، مناورات ، تعليمات ، تلك هي الفاتورة التي ندفعها من أجل الوطن . ندفعها نيابة عن أهلها الراقدين في بيوتهم أمنين

رغم طبيعتي الهادئة ، وكثرة الكلام عن خجلي من الطرف الأخر ، رغم الهدوء الذي يميز شخصيتي ، استطعت خطف تلك الأميرة الحسناء ، تلك الجوهرة الثمينة التي أمتلكها وحدي . كم حذرني أصدقائي من زواج الصالونات ، لكنني كنت من المحظوظين ، أن أمتلك تلك الأميرة الحسناء ، ابنة العائلة الكبيرة .

لقد أكد الجميع أنها مغرورة ، وأن عراقة عائلتها ستكون حائلا أمام زواجنا ، لكن الواقع أثبت أنها أروع امرأة في التاريخ ، وأن عائلتها رغم عراقتها بسيطة ومتواضعة ، رغم أن زواجنا كان زواج صالونات ، فلقد رشحتها أمي حينما رأيناها في فرح ابنة وزير الخارجية في فندق النيل هيلتون ، ليلتها ألحت علي أن أتخلص من خجلي وأطلبها للرقص ، ترددت كثيرا ، لكن إلحاح أمي كان شديدا ، فتقدمت نحو المائدة التي تجلس عليها ، وقلبي يرتجف خوفا أن تقابل دعوتي بالرفض ، لكنها رفقت بحالي وقبلت دعوتي . تراقصنا لمدة خمس دقائق ، كانت الأجمل في حياتي ، شعرت خلالها بأنني أحد أبطال الروايات الرومانسية ، يحتضن حبيبته ويحلق بها فوق السحاب .

منذ تلك اللحظة ، دخلت أميرة تاريخ حياتي ، فقررت أن تكون نصفي الأخـــر ، وصـــارت زوجتي وحبيبة أيامي ، وتوأم روحي .

كما ازدادت سعادتي ، وأنا أرى بطنها تعلو ، لتعلن عن قرب وصول قرة عيني ، سأصبح أبا خلال أشهر قليلة . كم أعشقك يا أميرتي أميرة .. أنا لك وأنت لي يا حلم عمري .

هكذا جلس أسامة على طرف السرير يحادث نفسه ، يتأمل ملامح وجهها الناصع البياض ، ملامحها الهادئة الجميلة، بقميصها الأحمر الشفاف الذي يظهر سحر مفاتنها الأخاذة ، وشعرها الأسود يتناثر على الوسادة ، فيرسم لوحة فنية جميلة

شعر برغبة في الاقتراب منها ، مداعبة أنفها المنمق بأصابعه، وتقبيل شفتيها ،التي لونتها بطلاء شفاه أحمر قاتم . وما أن اقترب منها ، ورفع تلك الخصلات المتناثرة على وجهها ، حتى سمعها تهزي بعبارات غزل واضحة ، تتحسس وسادتها وتحتضنها بشدة ، تقبلها بعنف ، شعر بغيرة من تلك الوسادة ، لكنه على يقين بأن تلك العبارات الرومانسية من نصيبه بالتأكيد ، فارسها وبطلها القومي ، فمن لها غيره تبث له حديث الغرام ، وتفتش عنه في يقظتها ومنامها ، فشعر بالفخر وازدادت رغبته في الاقتراب منها ، واحتضانها بعنف ، الاستمتاع بطعم الكريز المتساقط من شفتيها ، لكنه عاد أدراجه ، وتجمدت مفاصله ، بمجرد أن سمعها تنادي بشوق ولهفة ... عمر .

ابتعد عنها .. وقام مفزوعا ، وقلبه يترنح ، وكأن روحه تصعد ، يا لها من صدمة مميتة لرجولته ، وبدأ يتساءل ، من عمر هذا ؟ الذي تهزي زوجته باسمه .. تحتضنه .. تقبله .. تمارس العشق معه في أحلامها

أخذ يزرع الأرض بخطواته العسكرية ، والأفكار تموج في عقله ، كبحر هادرة أمواجه ، تدور عيناه بين زوجته الراقدة في سريرها تحتضن الوسادة ، وبين صورة زفافهما المعلقة على الحائط . تذكر تلك الليالي الجميلة التي قضاها معها ، تلك الآمال العريضة التي رسماها سويا ، ذلك المستقبل الراقد في رحمها ، لكن كونه رجل عسكري ، لم تجرفه نار الغيرة ، فتجبره على القيام بتصرف أهوج ، قد يندم عليه طيلة حياته ، شرع يفكر بعمق ، وقرر أن يتصرف بحكمة ، أن يفتش عن الحقيقة ، بدون أن يخسر زوجته .

غادر الغرفة على الفور ، وجلس في الشرفة يدخن سيجارة ، لينفخ نيران غضبه مع دخانها ، الذي يرسم في الهواء لوحات سريالية ، تاركا زوجته في أحضان عشيقها ، الذي لا يعرفه .

في الصباح وعلي مائدة الإفطار ، جلست كالمعتاد والسعادة تغمر وجهها ، تداعبه بكلمات الغزل التي لم تنقطع منذ زواجهما ، تطلب منه أن يبقى بجوارها ، ألا يغادر عشهما ،أن يصطحبها معه في معسكره ، أما هو فرغم شروده ، حاول أن يبدو طبيعيا ،

حتى لا يلفت نظرها ، رغم أن قلبه يحترق من الغيرة ، والمرارة تروي حلقه ، ومئات الأسئلة تدور في خلده ، لكنه انتظر حتى انتهت من تناول الإفطار، وبمنتهى الهدوء والحيطة، ألقى بعباراته الرومانسية المعتادة ، وبهدوء حاول أن يرى رد فعلها ..

ــ هو القمر كان بيحلم بمين امبارح ، وكان بيحب فيه أووي بكلمات غزل ، يا حبيبي .. يا عمري .. يا قلبي .. بعشقك ،انتظرتك تخلصي غزل وتقولي في الأخر أسامة .. مقولتيش ، قلت أكيد الغزل الجامد ده في الولد الشقي اللي لسه ملوش اسم ده ، علشان كده ما قولتيش اسمه.

انتظر رد منها لكنها لم تجبه ، بل ابتلعت ريقها بصعوبة ، وتبللت جبهتها ، ارتبكت وهي تحاول أن تبتعد عن عينيه ، ابتسمت وهي تحاول أن تنطق بأي كلمة ، لكنها صمتت خشية أن تفضحها كلماتها ، فتأكد بأن الأمر ليس مجرد حلم ، بل يبدو أنه حقيقة ، لها جذور وفروع وأغصان وأوراق ، إنها شجرة عالية من الشك بدأت تنمو في عقله .

رغم غيظه الشديد ، أشفق عليها والدموع تكاد أن تهطل من عيونها ، فتروي خدها الوردي ، وجهها الذي اصفر فجأة وذهبت نضارته، فاقترب منها ومسح بيده على شعرها ، وطبع قبلة حانية على جبهتها ، ثم انصرف إلى غرفة مكتبه بهدوء ، لكن النيران كانت تحرق قلبه ، تلهب مشاعره ، تموج في عقله كشلالات من الشك ، شعر بأن الأرض تدور برأسه ، وعششت في رأسه ملايين التفسيرات لما حدث. لقد فهم الآن كل شيء ، لماذا كانت تغمض عينيها وهى تقبله .. تحتضنه .. تمارس معه العشق بعنف . تخطيء في اسمه وتناديه باسم عشيقها .

عاد بالذاكرة وهمس له شيطانه : (يبدو أن عمر هذا هو الشاب التي حكت عنه من قبل ، حينما سألتها عن أول حب في حياتها فأجابتك باختصار شديد وبدون ذكر أسماء ... إحنا بنحب وبنعشق ، لكن للنصيب دايما رأي أخر، أنا حبيت شاب بكل قلبي ، وهو حبني بعقله ، واحترم الفارق الاجتماعي اللي بينا وانسحب بهدوء .... ولكنه لم ينسحب من قلب وعقل زوجتك الحبيبة يا مغفل ؟؟؟ ..)

حاول أن يتناسى الموضوع برمته ، أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، فالقصة كلها مجرد حلم والرسول (ص) أخبرنا بأن القلم رفع عن ثلاثة ومنهم النائم حتى يستيقظ .

بينما كان أسامة مستغرقا في نومه ، يتقلب في فراشه ، التفت نحوها ،مد ذراعه ليحتضنها فوجدها ما زالت مستيقظة بجواره ، عيونها يملؤها النعاس ، لكنها جلست تقاومه بضراوة والقلق يطاردها ، فهم أنها خائفة أن تنام فيتكرر ما حدث بالأمس ، عاوده الشك والحيرة ، لكنه أصر أن يدخلها مدينة الأمان ، حتى يتأكد من القصة برمتها ،

فمد يده وجذبها من ذراعيها وضمها إلى صدره وقبلها قبلة طويلة ، فشعرت بالأمان ، وكأنه أم تحتضن طفلها ، لكي يطمئن وينام ، وذلك بعدما همس في أذنها

ــ نامي واحلمي براحتك ، مش أنا الراجل اللي يحاسب على حلم .

ابتسمت وهي تقبله ، وترقد بين أحضانه وتغيب في نوم عميق .

ـ ٢ ـ

في مساء اليوم التالي ، كان أسامة في فيلا فؤاد بك شهاب ، يجلس مع أمها السيدة فريدة المراسي ، تلك السيدة الأرستقراطية التي تفوح رائحتها عراقة ، بوجهها الأبيض وعيونها العسلية ، وشعرها الأصفر الطويل ، الذي عقدته خلف رأسها كذيل حصان رغم ملامحها الحادة ، ونظرتها الثاقبة ، كان يبدو عليها الهدوء والحكمة وهو يحادثها بخجل عن زوجته أميرة ، حاول أن لا يشعرها بكم الغيرة التي تحرق قلبه ، عرض القصة بهدوء وكأنه أمر خارج عن إرادتها ، ولكنها بذكائها الحاد فهمت مقصده .

بينما هما يتحادثان اقتربت داده خيرية وهى تحمل كوبين من العصير ، فأشارت السيدة فريدة إلى أسامة بأن يصمت ، فانصاع لأوامرها كطفل صغير ، وصمت على الفور حتى وضعت العصير أمامهما ونظرت إلى أسامة وابتسمت

ـ أزيك يا أسامة بيه .. والست أميرة .. وحشتنا والله .. البيت وحش من غيرها

ابتسم أسامة وهو يأخذ كوب العصير من أمامه

ـ ضحكتيني يا داده خيرية ، أميرة بتقعد معاكم أكتر مني .

شرعت الداده خيرية في الاسترسال في الحوار ، فأشارت إليها السيدة فريدة أن تنصرف ، فنظرت إليها في وابتسمت بخجل وهي تعود أدراجها .

عاود أسامة استكمال حواره ، ولكن الأم كانت أكثر حكمة ، حينما طلبت منه أن لا يعطي الأمر أكبر من حجمه ، فموضوع عمر انقضى منذ سنوات ، وأن ما تبقى منه أشلاء حب قديم ، طواه الزمن . أميرة الآن زوجته ، التي تحمل في رحمها ابنهما ، والذي بمجرد أن يأتي إلى الدنيا ، سينسيها كل شيء ، عمر وأبيها وأمها ، وأسامة نفسه .

شعر أسامة بالراحة النفسية وهدأت سريرته من كلماتها الممزوجة بالثقة ، فزال الشك عن قلبه ، وقرر معاودة ممارسة حياته مع حبيبته أميرة .

عاد إلى البيت وقد أحضر معه باقة زهور حمراء ، وعلبة قطيفة صغيرة ، وما أن فتح الباب ، ورآها تقف أمامه بابتسامتها الجميلة ، حتى نسي كل شيء ، انحنى أمامها كأمير أمام أميرته ، قدم لها باقة الورد ، وأخرج لها العلبة الصغيرة ، فتحتها فوجدت الخاتم السوليتير الذي أعجبت به منذ أيام ، ففرحت واحتضنته وقبلته قبلة طويلة .

ـ بحبك أوى يا أسامة ..

ــ وأنا كمان يا حياتي ..بعشقك.. إيه رأيك نتعشى بره الليلة

ــ أنت أروع إنسان في الدنيا .. أخد شاور بسرعة وألبس

دخلت لتأخذ حماما ساخنا استعدادا للخروج ، وبينما أسامة يرتدي ملابسه ، حتى صدر من هاتفها النقال صوت رسالة وات ساب ، تجاهل الأمر،معتقدا أنها رسالة من فؤاد بك شهاب ، والدها الذي يعمل بالسفارة المصرية بالولايات المتحدة الأمريكية ، تكرر الصوت من جديد ليعلن عن وصول رسالة أخرى ، اقترب من الهاتف وحمله بين كفيه ، تطلع إلى الشاشة الكبيرة ، فظهرت الرسالة ، فوجدها من رقم وبدون اسم ، لم يفتح الرسالة ، بل لمح بعض محتوياتها ، وكان أبرزها كلمة ... وحشتيني ....

فاشتعل غضبا .. من هذا ؟ الذي يطارد زوجته في أحلامها ويقظتها وكيف لهذه الزوجة المستهترة أن تقيم علاقة مع رجل دون زوجها .

لكنه أصر أن يلتزم الهدوء، بينما دون رقم الهاتف في ورقة ، ووضعها في جيبه . حينما خرجت أميرة من الحمام ، لم يكن مزاجه على ما يرام ، رغم تظاهره بعدم الضيق ، لم تعد لديه الرغبة في الخروج ، وحينما طلبت منه أن يمهلها دقائق ، لكي ترتدي ملابسها ، حاول الاعتذار بطريقة مهذبة حتى لا يلفت نظرها ، بأن حالته المزاجية قد انقلبت رأسا على عقب ..

ــ إيه الجمال والحلاوة دي .. بقولك إيه .. ما تيجي نقضي السهرة هنا .. ونطلب العشاء دليفري ، إنتي وحشاني أوي .. وكمان أنا مسافر الصبح ، ولازم أنام بدري .

ثم اقترب منها واحتضنها بشدة ، فاستجابت لرغبته، وهي تبتسم وتقترب من شفتيه وتطبع عليها قبلة ..

ــ بتحبيني أد إيه ؟

ــ أد الدنيا دي كلها ..

ـ ٣ ـ

كان أسامة يجلس في مكتبه بأحد معسكرات الجيش الثالث . لقد مر ثمانية عشر يوما ، واقترب موعد عودته إلى حبيبته أميرة ، لكن ما زال عقله وقلبه يتلويان من فرط التفكير ، والأفكار السوداء تقتله كل ليلة آلاف المرات ، يفكر في زوجته أميرة ، في ذلك الشبح الذي اقتحم حياتهما ، ذلك الماضي الذي عاد ليهدم تلك الأسرة حديثة النشأة ، إلى أي مدى وصلت العلاقة بينهما ؟ أما زالا يسهران حتى الصباح على الهاتف، يتبادلان الرسائل الغرامية ، هل اقترب من فراشه ودنسه .. وهل هذا الطفل الراقد في رحمها ، ابنه ومن صلبه ، أم أنه ابن ...

ـ استغفر الله العظيم ..

ظل يلوم نفسه ، كان يجب أن يتحرى بدقة عن ماضيها ، ألا ينخدع بتلك المظاهر التي كانت تبدو عليها من الهدوء والعقل ، تلك الفتاة الرومانسية لا تليق به.

قطع تفكيره عدة طرقات خفيفة على باب مكتبه ، دخل أحد العساكر أعطاه التحية العسكرية ، ثم مد يده إليه بورقة صغيرة ، التقط أسامة الورقة ، نظر إليها ثم عاود النظر إلى ذلك العسكري

ـ عايز تصريح أجازة ليه يا عسكري ؟

ـ مراتي على وش ولادة .. وده أول مولود .. ولازم أكون جنبها سيادتك.

ابتسم أسامة ابتسامة خفيفة ، وقع على التصريح ، ثم مد يده في جيبه ليخرج ورقة مالية ليعطيها إلى العسكري ، فسقطت ورقة من جيبه لم يلتفت إليها ، وإنما مد يده بالتصريح والورقة المالية وأعطاها للعسكري

ـ ألف مبروك مقدما ..

ـ ألف شكر يا باشا .. ربنا ما يحرمنا من عطف وكرم سيادتك

سحب التصريح والورقة المالية من يد أسامة ، ثم عاود إعطاءه التحية العسكرية وخرج على الفور وهو في قمة السعادة .

وقعت عين أسامة على تلك الورقة التي سقطت من جيبه ، فتذكر تلك الورقة التي دون فيها رقم هاتف عمر ، ابتسم وهو يرفع هاتفه النقال ويطلب أحد أصدقاءه

ـ مساء الخير .. أزيك يا مدحت .. كنت عايز منك خدمة

ـ أنت تؤمر يا باشا....

ـ كان في رقم بيرخم عليا .. وكنت عايز أعرف صاحبه

ـ ده شيء بسيط جدا يا أسامه باشا..أنت تؤمر.

ـ ألف شكر يا حبيبي .. بس في أقرب فرصة وحياة والدك

عاد أسامة إلى البيت في أجازته الشهرية ، لاحظ أن رائحة البيت تفوح عطرا ، والورد يتناثر في كل مكان ، ألقى بحقيبته على الأرض ، حينما خرجت أميرة من غرفتها ترتدي أجمل ما لديها ، وقف مبهورا يتأمل تلك الأميرة الحسناء التي احتلت فؤاده ، وامتلكت نواصي نبض قلبه ، هل تعشقه حقا ، فلماذا تحادث غيره في الصحو والمنام ، وإذا كانت لا تعشقه ، فلماذا كل هذا الكذب والزيف..

هرع نحوها وضمها إلى صدره ، وأخذ يداعب خدها الوردي بأنامله

ـ إيه الرومانسية دي يا حبي ؟

ـ عشان أنت غلس ورخم .. وناسي عيد زواجنا ..

ضرب بكف يده على مقدمة رأسه

ـ أما أنا قليل الذوق فعلا

ـ لا ما تقول كده يا حبيبي أنت الذوق كله .. المهم هديتك الحلوة تيجي وبلاش تطنش..

طبعت قبله على خده ، وهى تداعب شاربه الكث الذي أعطاه وقارا وزاده رجولة ، وتحسست شفتيه ، ثم مسحت بيدها على شعره ، فطبع قبلة على خدها وهو يحملها بنشوة ويرفعها عن الأرض عدة سنتيمترات

ـ وأنتي فين هديتك بقه يا شاطرة ؟

ـ أنا هديتك يا قلبي .. هو في أغلى من كده ؟

ـ أنتي فعلا أغلى حاجة في حياتي ، واللي يفكر يأخذك مني أفرمه

كانت هذه العبارة بمثابة رصاصة أطلقها على قلبها ، شعرت أن الدنيا تدور برأسها ، وأخذت تفكر فيما يقصده ، هل بدأ يتسلل الشك إلى عقله ..

مرت الليلة بهدوء ، تبادل فيها أسامة وأميرة كلمات الغزل ، وكأنهما في شهر عسل جديد ، أميرة تحاول أن تثبت له أنه عشقها الوحيد ، وأسامة يحاول أن يزيل عنها أي قلق أو خوف .. حتى يعرف الحقيقة .

ـ ٤ ـ

عاد أسامة إلى عمله ، وانتقلت أميرة إلى بيت أبيها ، وذلك بحسب الاتفاق فيما بينهما ، والذي فرح به جدا ، في بيت أبيها ستكون تحت رقابة أمها ، ولن تكون بمفردها ، فيلعب الشيطان برأسها .

عادت أميرة إلى غرفتها والأفكار تموج بعقلها ، والقلق والحيرة يتصدران المشهد ، لكن ذلك لم يمنعها من الاستمرار في علاقتها ، فلم تكف عن محادثة عمر ، تظل طوال الليل تحادثه . انه حبها الأول ، كيف تتركه هكذا ، هو ملاذها الوحيد الذي عوضها عن غياب والدها خارج البلاد لسنوات طويلة ، تنتظر عودته كيوم العيد يهل كل عام مرة أو مرتين ، ثم غياب زوجها في عمله بالجيش ، تضع يدها على قلبها ، حينما تشاهد نشرات الأخبار ، وتلك الحوادث التي يتعرض لها ضباط الجيش .

أميرة على يقين بأنها لم تجرم ، كونها ما زالت تحادث عمر كصديق ، يشكوان من تقلب الحياة ومشاكلها التي لا تنتهي ، ما زالت تتعاطف معه . لقد انتهت قصة حبهما ، بزواج كل منهما من أخر ، وتحولت العلاقة ولو ظاهريا لعلاقة صداقة ليس أكثر ، رغم أنها حاولت الإقلاع عنه ، لكنها ما زالت تعشق محادثته ، لقد أدمنت وجوده في حياتها ، لقد أصبح ذلك القرص المخدر الذي يخفف عنها وحدتها ، وصارت هي الترياق الذي أدمنه ليتخلص من صداع زوجته .

في إحدى الليالي الشتوية الباردة ، بينما عم السكون أرجاء الفيلا ، ونام الجميع ، لكن أميرة ما زالت في فراشها تحادثه ، تقتل تلك الساعات الفارغة من زوجها . لو كان أسامة معها طوال الوقت لما احتاجت أن تحادث عمر ، تظل طوال الليل معه تستمع إليه وهو يشكو من زوجته التي تنغص عليه حياته، يشكو إليها بأن زواجهما كان خطأ، لم يستطع التخلص منه ، أو يحاول إصلاحه ، لقد أصبحت تشكل كابوسا في حياته . وأميرة تحاول أن تقنعه بأنه اختياره منذ البداية ، ويجب عليه أن يتحمل من أجل ابنته الصغيرة ، التي لا يجب أن تكون ضحية لتلك الزيجة الفاشلة ، زوجته ليست كل الشر ، أن الغيرة القاتلة وتقمصها دور الرجال هو السبب الذي يجب أن يتخلص منه بالعلاج لا بالبتر .

نصحته بان يصطحبها إلى طبيب نفسي ، أو أن يقوم هو بدور الطبيب النفسي ، أن يقترب منها أكثر ، أن يحاول ترويض تلك النمرة ، أن يفتش عن تلك المناطق التي تجمعهما سويا .

بينما أميرة مستغرقة في حديثها معه ، منهمكة في تمثيل دور المصلح الاجتماعي ، حتى فُتح باب غرفتها فجأة ، واقتحمت أمها خلوتها ، فوجدتها في سريرها ما زالت مستيقظة ، تحتضن هاتفها ، فخطفته من يديها ونظرت في شاشته الكبيرة ، فوجدتها تحادث عمر ، لم يكن من الأم إلا أن صرخت في وجهها ، وصفعتها صفعة قوية حولت خدها الأبيض إلى غلالة حمراء .

ــ أنتي قليلة الأدب ، أزاي زوجك يأتمنك على بيته وأنتي تسهري طول الليل بتكلمي الحيوان ده ، أنتي مجنونة مش طبيعية

ــ لسه بحبه يا ماما .. مش قادرة أشيله من قلبي .. أدمنته

ــ مش مكسوفة من نفسك .. إنتي كلها كام شهر وتبقي أم .. هتبصي في وش ابنك أزاي وهو شايف أمه سهرانة بتكلم واحد غير والده .. سنين طويلة وأنا بفهمك انه بيلعب بيكى .. وعمره ما حبك ، يا مجنونه .. فوقى من جنانك اللي هيخرب بيتك ده ..

ــ أرجوكي يا ماما كفاية.. أنا بحب عمر واللي بينا مش هتقدروا تفهموه... أنا بحبه وبعشقه، وأقسم لك بالله إن مفيش شيء وحش بينا .

ــ أنتي مريضة .. ولازم تتعالجي من مرضك ده وبسرعة، قبل ما زوجك يعرف الكارثة دي ، ونتفضح على أخر الزمن ، أنا هاكلم دكتور سامح ، ده دكتور نفساني مشهور ، هكلمه وهحدد لك ميعاد عنده ..

ــ ماما أنا مش مجنونة .. ومش هروح عند أي دكتور ..

ــ هتروحي وتتعالجي من جنانك ده .. غصبن عنك !!

ـ ٥ ـ

دخلت أميرة عيادة الطبيب النفساني ، قرأت تلك اللافتة المذهبة المثبتة على باب العيادة " دكتور سامح عياد " استشاري الأمراض النفسية والعصبية "، اجتازت الممر المؤدي إلى غرفة الانتظار ، أخذت تتأمل العيادة رغم الأضواء الخافتة ، العيادة حسنة الأثاث ، الكراسي مرصوصة بعناية ، والسجاجيد مرتبة ، كأنها لوحات تزين الأرضية ، وعلى الحوائط لوحات عديدة بارعة الرسم باهرة التعبير ، والأرضية نفسها لامعة ونظيفة ، كل شيء يسير في نظام ، السكرتيرة تسير في غير ضجة ، تتكلم في همس . جلست أميرة تحادث نفسها وهي تشعر بالخجل

ـ كيف رضخت لضغط أمي ، حتى أجبرتني أن أتي إلى هنا ، أنا أتعالج من عشقي لعمر ، وهل أصبحت المشاعر مرضا في هذا الزمان .. يجب علينا العلاج منه؟؟ ومن ذلك العبقري الذي يستطيع أن ينزعه من قلبي ، لقد ملك الروح ، وتجاوز حد العشق ، لقد أدمنته ، ولن أقلع عن إدمانه مهما حدث ..ولكنني أجبرت على الحضور إلى هنا لإرضاء أمي فقط ..

أخذت تتأمل من حولها ، أناس عاديون ، هادئون ، لا يبدو عليهم الجنون ، كانت تعتقد أنها ستجد في العيادة النفسية ، مرضى يحادثون أنفسهم، يصرخون ، يمزقون ملابسهم ، يهزون بكلمات غير مفهومة ، كما تشاهد في السينما . حتى تلك السكرتيرة الجالسة على المكتب أمامها يبدو عليها الرقة ، سعيدة بنظارتها الطبية التي تشعرها بأنها طبيبة ، بطولها الملحوظ وجيبتها القصيرة ، التي تكشف ساقيها المكتنزان ، وشعرها الذي صبغته باللون الأصفر، بكم الأصباغ التي لونت وجهها فتحولت إلى كلوديا شيفر، وأشعرتها بأنها في عيادة بأحد ضواحي سان فرانسيسكو .

نظرت إليها وأشارت إليها ، فأقبلت عليها برائحتها التي تفوح عطرا ، وكأنها في حفل زفاف ، فطلبت منها أن تعرف كم تبقى من الوقت لدخولها ، لقد مر ساعتين وهي جالسة على الكرسي ، حتى شعرت بأن جسدها تحول إلى تمثال من الحجر ، وبدأ الملل يتسلل إليها ، حتى قررت أن تهرب ، فأخبرتها أنه بمجرد خروج الحالة التي بالداخل ستدخل هي على الفور .

وفجأة فُتح باب غرفة الطبيب ، وخرجت فتاة في مقتبل العمر ، ابتسمت لها ، في حين أشارت إليها السكرتيرة .

ـ مدام أميرة فؤاد شهاب .. دكتور سامح في انتظارك .

تحركت بصعوبة نحو الغرفة ، فتحت الباب فتسلل إلى أذنها موسيقى هادئة ، فشعرت براحة نفسية مع الضوء الخافت الذي يغمر الغرفة ، وعلى المكتب الذي يتوسط الغرفة يجلس دكتور سامح ببدانته الواضحة ووجهه الممتلئ ، ابتسم وهو يشير إليها بالجلوس .

أخذ يتأمل وجهها الطفولي البريء ، وجمالها الجذاب ، لاحظ خوفها وقلقها وتوتر أعصابها. وما أن همت بالتحدث حتى بادرها بابتسامته المريحة للأعصاب ، وأخذ يداعبها ببعض الجمل المضحكة ليقلل من توترها ويمتص خوفها

ـ أول مره تدخلي عيادة نفسية صح

ـ فعلا ..

ـ فريدة هانم شرحت لي الحالة .. بس لازم أسمع منك

ـ وإيه المطلوب مني دلوقت

ـ مفيش .. هقعد أسمع منك ، مقابل انك تدفعي الفيزيتا

ـ طيب ما أدفعها وأخرج وتقول لماما إني جيت وأخذت الجلسة

ـ بس دي تبقى رشوة !.. صدقيني أنا هسمع منك كصديق ، وأوعدك إن كل كلمة هتقوليها هتكون سر بينا..

ـ أعتبر ده وعد ..

ـ طبعا ولا فكراني دكتور خشبه .. أنا مش قصير أوزعه أنا طويل وأهبل

ـ .. ممكن نبدأ علشان عندي ميعاد مع دكتور النساء .

أشار إليها أن تفرد جسدها على الشيزلونج ، ثم ضغط على جهاز التسجيل ، لتبدأ في رحلة علاجها من عشقها وغرامها وطلب منها سرد قصتها ..

الفصل الثاني

ـ ١ ـ

كانت السماء ملبدة بالغيوم ، والسحب تنذر بسقوط مطر غزير ، حينما كنت عائدة بسيارتي من الجامعة ، بعد يوم شاق ممتلئ بالمحاضرات، اخترقت تلك الشوارع المزدحمة ، حتى وصلت إلى فيلتنا بمصر الجديدة ، وصلت إلى الباب الحديدي الذي ينتصف ذلك السور الذي يحيط بالفيلا ، ضربت كلاكس السيارة بقوة ، حتى يستيقظ عم حسين الحارس ، والذي دوما ينام في غرفته الصغيرة ليل نهار ، ما أن سمع صوت سيارتي ، حتى أسرع وفتح الباب ،هرعت بسيارتي إلى الداخل ، والباب الحديدي يزمجر كرياح شتوية عاصفة ، اخترقت الحديقة الكبيرة الواسعة ، ركنت السيارة في مدخل الحديقة ، ألقيت بتحية المساء على عم سعد الجناييني ، فأقبل نحوي وابتسم ابتسامته المعهودة

ـ مساء الورد على أحلى أميرة في الدنيا

ابتسمت له وأنا أصعد درجات السلم ، الواصل إلى الباب ، استقبلتني دادة خيرية والتي احتضنتني وزرعت قبلتين على وجنتي كالعادة ، أعطيتها دفاتري وحقيبتي، وطلبت منها أن تضعهما في غرفتي ، وبلهفة سألتها عن أمي

ـ ماما رجعت من الجامعة ؟؟

ـ رجعت من ساعة ، وهي دلوقت في مكتبها .

هرعت إليها ، فوجدتها جالسة على مكتبها منهمكة في العمل ، بوجهها الأبيض وعيونها العسلية التي تختفي خلف نظارتها الطبية ، جميلة أمي ومتأنقة دائما ، تفوح رائحتها عطرا ، كوردة برية عطرة، ولكن جمالها لا يظهر بوضوح ، إلا حينما يعود والدي إلى مصر في زيارته الشهرية ، لطبيعة عمله كدبلوماسي في السفارة المصرية بفرنسا ، فهو دائم التنقل بين دول العالم ، كم أشفق على أمي كثيرا ، وهو يتركها وحيدة بين جدران تلك الفيلا الواسعة ، ما أن رأتني حتى ابتسمت ، وخلعت نظاراتها الطبية ودعكت عينيها من الإرهاق وسألتني :

ـ اتاخرتي ليه يا ميرو.. أخر محاضرة خلصت من ساعتين .

ــ كنت في جلسة نميمة مع صديقاتي في بوفيه الجامعة ، وكمان الطريق كان زحمة جدا ، وأنتي دايما بتطلبي مني أسوق على مهلي ، كل ده سبب التأخير يا حضرة الدكتورة.

ابتسمت وهي تنهض وتتقدم نحوي بطولها المتوسط ، وجسدها الرشيق ، احتضنني وانتقلنا إلى الـ LIVING ROOM ، طلبت أمي من داده خيرية أن تعد طعام الغذاء ، فأميرة القصر قد حضرت، بينما طلبت مني أن أسرع إلى غرفتي لأبدل ملابسي ، لكنني توقفت أمامها لدقائق وأنا أنظر إليها بحيرة وخجل ، ابتسمت أمي وهي تتأمل ملامحي الخجولة كقطة برية ، تريد أن تموء في حضرة الأسد .

ــ قولي اللي عندك ، عيونك فضحاك .. إيه الحكاية ؟

ــ مفيش يا ماما .. بس بعد إذن حضرتك .. شلة الكلية عملوا جروب على الفيس بوك ، طلبوا مني أنضم ليهم عشان نتواصل في فترة الأجازة ، وأنتي عارفة إن في فرمان من حضرتك ، يمنعني من دخول العالم الوهمي ده ، فممكن بعد إذن حضرتك أعمل حساب على الفيس ، وأوعدك إني التزم بأي شروط تمليها عليا .

ابتسمت أمي ، وهي تضع النظارة على وجهها من جديد ، تنهدت وسرحت بعيدا، وهي تتأمل ملامحي، وكأنني أسمع ما يدور بخلدها ، سمعتها بعقلي الباطن تهتف " لقد كبرت يا أميرة وصرت طالبة جامعية، لماذا أخاف عليك كل هذا الخوف ، هل لأنك وحيدتي ، أم أنه التزام بوعدي لفؤاد ،الذي طلب مني أن أحافظ عليك ، فالأيام أصبحت صعبة وأخلاق البشر تغيرت ، لكن يجب الآن أن أعطيك حريتك ، لكي أرى هل أثمرت تلك التربية العسكرية التي ربيتك عليها ، أم أنني فشلت في زرع تلك الوردة في بستان الدنيا الواسعة المضطربة ".

ــ موافقة بس بشروط

هللت فرحا ، وأنا أقبل رأسها ، ويديها البيضاء الناعمة ، وجلست بجوارها أنتظر تلك الشروط بلهفة

ــ هتعملي حساب على الفيس باسم وصورة مستعارة ، لا تليفونك ولا صورك حد يشوفهم نهائي ، إنتي عارفه والدك مركزه حساس ، وخالك في الأمن الوطني ، وأنا مش عايزة أدخل في مشاكل ، وكمان ده كله لا يؤثر على مذاكرتك وتفوقك .. فاهمة يا ميرو

ــ فاهمة يا ست ماما ...

وبمجرد أن انتهى الحوار ، حتى دخلت الداده خيرية تخبرنا بأن طعام الغداء قد تم وضعه على السفرة .

في المساء قمت بعمل حساب على الفيس وأسميته (الوشاح الأحمر) لكن السيد مارك إمبراطور الفيس بوك ، رفض هذا الاسم واعتبره اسم وهمي ، لكنني استطعت خداعه وغيرت الاسم إلى (RED SCARF) .

مرت الشهور وأنا ملتزمة بتعليمات ماما ، إلى أن قامت إحدى صديقات الجامعة بضمي إلى جروب اسمه (وجع قلب) وكأنه كان قدري وجع القلب . بدأت المشاركة في هذا الجروب خلال أوقات فراغي وبعد الانتهاء من عناء المذاكرة ، أنشر بعض المنشورات الرومانسية التي أعشقها ، وكنت أشعر بسعادة وأنا أحصد أعلى الإعجاب ، والأعضاء يعلقون بأشعار وصور رومانسية ، وازدادت سعادتي ، وأنا أجد الاهتمام من أصدقاء الفيس ، السؤال عني إذا تأخرت ، أو تغيرت حالتي المزاجية ، حينما أنشر أشعار حزينة عن الفراق ، كنت أكتبها لفراق والدي ، الذي كان يطول أحيانا لعدة أشهر ، لكنهم فهموا أنى أذوب عشقا ، وهذه الأشعار لحبيب غائب ، ولا يعلمون أني لا أعشق سوى والدي المغترب دائما عني السيد فؤاد شهاب

مرت الأيام ولا جديد في هذا العالم الوهمي ، إلى أن شعرت بتفاهة الموضوع برمته ، بدأ الشعور بالملل يتسلل إلى قلبي ، من تلك التجربة غير المفيدة على الإطلاق ، وكنت على وشك الإقلاع عن هذا السخف ، إلى أن ظهر ذلك الشاب والذي تحمل صفحته اسم (قيصر العشق) بدأ ينشر منشورات رومانسية، وبدأ يخطف الأضواء من منشوراتي ، والتي بدأ يقل الاهتمام بها ، فقررت أن أقبل المنافسة ، بدأت أنشر منشورات وصورا أكثر رومانسية ، وبدأت تتحول كفة الميزان بيني وبينه .

بدأت أخرج من حالة الملل ، وأنشغل بمنشوراته الرومانسية وكأنها من أجلي، كما أن بروفايل صفحته يحمل صورة كاظم الساهر، تسللت خلسة إلى صفحته الشخصية ، وتجولت في شوارعها وميادينها الواسعة، لكنني توقفت كثيرا وتوقف معي نبض قلبي ، حينما رأيت صوره الشخصية المخبأة بداخل صفحته ، بطوله الفارع وجسده الرياضي وشعره الأسود الفاحم ، وعيونه السوداء ، بوسامته الجذابة والتي زادتها شاربه ولحيته الخفيفة ، ولأول مره أجد شابا يجمع بين الرومانسية الجامحة والوسامة الملفتة للنظر.

تطلعت إلى بياناته الشخصية وتوصلت إلى بعض المعلومات عنه ، من خلال تعليقات الأصدقاء على صفحته الشخصية ، اسمه عمر ، من المحلة الكبرى ،عمره ثلاثون عاما، خريج كلية الحقوق جامعة القاهرة ويعمل في إحدى الشركات بالمملكة العربية السعودية .

وبدء اهتمام خفي بينا ، بدأ عمر يهمل منشوراته ويتابع منشوراتي، فيلقي بعبارات الغزل، التي تثير مشاعري ،فعاد الجميع يهتم بمنشوراتي أكثر ، وبدأت أعود محور الجروب من جديد. أخذ يطاردني بعباراته الرومانسية ،التي كانت تأخذ قلبي فوق السحاب فأطير كالفراشات لأحلق بين النجوم ،واستمر الحال بيننا هكذا لمدة شهرين وأكثر إلى أن وصلتني رسالة منه على الخاص ، فرحت جدا بها ، بل كدت أموت فرحا ، فلا أخفيك سرا ، فأنا كنت أنتظرها بلهفة شديدة ، لكنني بدأت ألعب دور البنت الرزينة العاقلة ، ولم أنجرف إليه بسهولة.

رفضت أن أفتحها أو أقرأ محتواها، تجاهلتها ، رغم شوقي لقراءة ما بداخلها ، خشيت أن تحرقني بنارها ، أو أن تدخلني في دوامة عشق لا ينتهي .رغم إحساسي بأن هناك شيء بدأ ينمو بداخل قلبي .

إلى أن بدأ يلمح بموضوع الرسالة في الجروب ، وقلبي يتراقص فرحا ، فأخذ يعلق وأنا أرد بمكر شديد .

من أين أتيت بهذا المكر يا أميرة الخجل ؟.

ــ هو في مشاكل في رسائل الفيس يا ريد سكارف ؟

ــ ليه يا قيصر العشق ؟ .. الرسائل شغالة كويس

ــ أصلي باعت رسالة لواحد صاحبي من أسبوع وما ردش ، وكمان رسالة من يومين وما ردش برضوا ، وأنا مستغرب أوى

ــ طيب اسأله

ــ ما أنا بسأل أهو .. ممكن أخت ريد تشوفي الرسائل كده يمكن عندك نفس المشكلة ، أنا محتاج لرده أوي

رغم سعادتي البالغة لكنني لم أتمادى في الرد ، وتجاهلت رسالته وتلميحاته التي قد يفهمها الجميع على أنه يقصدني ، ولم أنجرف في التعليق على ردوده .

وبعد عدة أيام من التجاهل بدأ يدخل في حوار على أحد منشوراتي

ـ ما هو لو صاحبي ما فتحش الرسائل ورد عليا هعرف انه مش مهتم بيا زى ما أنا مهتم بيه وهنسحب من الجروب ، وأعتزل الفيس كمان

توقف قلبي للحظة ، ولم أشعر إلا وأنا أهرع نحو الرسائل، وأفتح رسالته ، والتي كانت تحمل صورة لباقة ورد ورسالة قصيرة " باقة ورد لأجمل ريد سكارف في الفيس " لم أرد بكلمة واحدة ، لكنه بمجرد أن فتحتها ،ولم أرد حتى أرسل رسالة أخرى وكأنه كان ينتظرني بداخل صندوق الرسائل .

ـ أخيرا فتحتي رسالتي بعد شهر يا مفترية !

ابتسمت فرحا ، وتخيلت أنه يجلس أمامي يحاورني ، وأنا أتأمل ملامحه الجميلة ، وشفتاه تتحرك فتظهر أسنانه البيضاء القوية كأسنان حصان .

ـ عايز إيه من صديقك اللي وجعت دماغنا بيه ده ؟

ـ حابب أتعرف عليه أكتر

ضحكت بدهاء عاشقة ، وقلبي ينتفض عشقا

ـ صديقك وما تعرفهوش ؟

ـ أعرفه حضرتك من شهرين في الجروب ، ومن أول يوم لظهوره شدني برقته وأخلاقه وأسلوبه الراقي في التعامل مع الجميع ، وفوق كل ده هادي جدا ورومانسي أووي

تبسمت خجلا ، وتجمدت أطرافي ، ورقص قلبي طربا ، وكأنني لأول مره أستمع إلى هذا الغزل

ـ ايه الكلام الجميل ده كله ، كلك زوق والله

ـ طيب ممكن بقه أتعرف على القمر الجميل الرومانسي .

ترددت قليلا ، وتعليمات السيدة فريدة المراسي والدتي ترن في أذني ، أن هذا الحساب الفيسبوكي لابد أن يكون وهمي ، لا أعطي تفاصيلي الشخصية لأحد لا يعرفني حق المعرفة ، نظرا لمركز والدي الحساس ، ومركز خالي المرموق ، لكنني تجاهلت كل هذا

ـ أنا أميرة فؤاد شهاب ، سني عشرين سنة ، طالبة في الفرقة الثانية في كلية اقتصاد وعلوم سياسية

ـ واو .. لا أنا كده مش من مستواك خالص ومش ينفع نكون أصدقاء

ترددت قليلا وارتبكت وتلعثمت الكلمات بين أصابعي وأنا أردد في عقلي بخوف ، سينسحب لمجرد أن عرف باسم كليتي ، فماذا لو عرف باقي تفاصيل عائلتي ومركزها الاجتماعي والمادي ..

ــ ليه بس ، الصداقة لا تعترف بفروق ، وبعدين انتوا هتكونوا أصدقاء ، مش نسايب وبدأت العلاقة تتطور بيننا ، بدأت أدمنه ، أستيقظ من نومي على رسالته صباح الخيرة يا أميرة ، وأنام على رسالته تصبحي على خير يا أميرة ، وبينهما حوار لا ينقطع ، طوال اليوم والليل ، يحكي لي عن تفاصيله اليومية ،حتى قصص غرامه أثناء الجامعة وما بعدها ، وعن حبه الأول لزميلته الجامعية ، والتي وعدها أن يتقدم لخطبتها ، بعد قصة حب عنيفة ، ذهب يتقدم لخطبتها لأنه فقط وعدها ، رغم علمه أن طلبه سوف يقابل بالرفض، فمن أين يأتي هذا الشاب حديث التخرج بتكاليف الزواج ، وافترقا رغما عنهما ، كنت أشعر أنه يبكي وهو يحكي عنها ، لكنه كبر في عيوني ، شعرت أنه رجل صادق ، يعشق بصدق ويفي بوعده ، عشق بعدها أربعة مرات ، لكن منزلتها لا تزال في قلبه.

رغم أن صفحته ممتلئة عن أخرها بعشرات الأصدقاء من البنات ، كنت أدخل صفحته الشخصية أساله عن كل بنت تعلق على منشوراته، فيحكي عنها بكل أدب واحترام ، زادت ثقتي وتعلقي به ، كنت أخشى أن تصل إليه غيرتي ، من كم البنات اللواتي تمتلئ بها صفحته ، لكنه أيضا بادلني نفس الغيرة ، فكان يسألني عن كل صديق جديد عندي ، ويصب غضبه ، حينما يشعر أن هناك تقارب بيني وبين أحد أصدقائي ، حتى ظهر في الجروب عضو جديد (أمير الرومانسية) بدأ يحل محله ويجذب تعليقات بنات الجروب وبدأ يحوم حولي ، ليلقى شباكه حولي .

لكنني شعرت بحب عمر وغيرته ، حينما طلب مني أن أترك الجروب ، فاستجبت لطلبه وأنا مغمضة العينين ، مستسلمة لتعليماته ونصائحه ، التي شعرت أنها حب خفي ، يحاول أن يداريه ولكنه فاشل بدرجة امتياز، فالحب يطل من تصرفاته ، من غيرته، من كلماته المعسولة التي تدغدغ مشاعري ، فلجأت إلى صديقي كاظم أستيقظ على صوته صباحك سكر ، ضمني على صدرك ، أحبيني بلا عقد وضيعي في خطوط يدي ... أحبك جدا ..وجدا .. وجدا ..

وفي أحد الأيام بينما أتصفح صفحته الشخصية كعادتي ، وجدت منشورا رومانسيا قديم من إحدى صديقاته ، عبارة عن صورة رومانسية عليها قلبين وحروف (M&D) اشتعل قلبي بالغيرة ، وأنا أنتظره على أحر من الجمر أن يظهر أون لاين لأسأله ، وما أن فتح حتى أرسلت إليه رسالة مقتضبة على هيئة سؤال

ــ مين دعاء دي يا عمر ؟

ابتسم ابتسامة شعرت منها أنها ابتسامة مكر ودهاء وكأنه يقول ظهر حبك وغيرتك يا معشوقتي...ولكنني سأطفئ نار غيرتك..

ــ دعاء دي حبيبتي رقم خمسة ، مرتبطين من سنتين ، أتعرفت عليها في نقابة المحامين ، لما كانت بتساعد خالها في حملته الانتخابية لنقابة المحامين ، لما كنت لسه شغال في القاهرة ، أتكلمت معاها وكان في تفاهم كبير بينا ، وتوافق في وجهات النظر ، وتعرفت على أهلها وكنت بتردد على بيتهم ، وكنا شبه مخطوبين ، لحد ما سافرت السعودية علشان أكون نفسي وأرجع نعلن خطوبتنا ، لكن من شهر تقريبا اختلفنا ، وحصلت بينا مشاكل كبيرة ، يعني باختصار إحنا انفصلنا ومفيش حد في حياتي دلوقت.

نزلت كلماته تلك على قلبي كالثلج ، بردت نار غيرتي ، أشعرتني بأن قلبه الآن خاليا ، ينتظر ذلك المولود الصغير الذي سأضعه في قلبه رغما عنه ، أنا لك يا عمر ، ولن أترك لأحد الفرصة ليأخذك مني ، فأنت أول عشقي وحب عمري ومنتهى أملي ..

بدأت قصة عشقنا تتكون وتكبر ، ولكنها لا تزال مغلفة بغلاف الصداقة والاهتمام ، نسيت أهلي وأصدقائي وأصبح عمر كل حياتي ، بطيبه قلبه واهتمامه المفقود في حياتي ، وأصبح الفون والفيس كل حياتي ، لقد عوضني عمر عن حرماني الأبوي ، ووجدت فيه حنان أمي ، التي تحولت من أم يجب أن تحتضن ابنتها الوحيدة ، إلى شرطي تراقب كل تصرفاتي ، وتضرب بيد من حديد ، لأي خطأ أقترفه.

أصبح عمر هو محور حياتي ، هو غذائي اليومي ،عشقت اهتمامه بحياتي ، يسألني عن كل تفصيلة في حياتي اليومية ، وقت استيقاظي ونومي ، جدول محاضراتي ، ساعات مذاكرتي ،مواعيد طعامي ، ملابسي التي أرتديها ، نصائحه لا تنقطع ، وأنا أقود سيارتي يطلب منى أن أركز في الطريق ، ولا أنشغل بالشات أو الهاتف حتى لا أتعرض لحادث ،

وبدأت أبادله الاهتمام أساله عن تفاصيل يومه بدقة ، يحكي لي عن أسرته ، ومتى يتصل بهم ، وكيف يحبونه ويتلهفون لعودته إليهم .

بدأت تخرج علاقتنا من شات الفيس والرسائل ، إلى أن سمع صوتي وسمعت صوته ، كانت أول محادثة تليفونية ، هي أروع ما سمعت في حياتي ، أخبرني بأن صوتي أشبه بصوت الكناريا. ،ابتسمت خجلا واحمرت وجنتاي ، وكأنه يجلس أمامي ، فأخبرته أنه لو شاهد صورتي ، سيغير من رأيه بالمرة ، فيخبرني أنه يخجل أن يطلبها ، لم أكن أستطيع أن أخالف تعليمات أمي أكثر من ذلك ، فعمر جعلني أضرب بكل شروطها عرض الحائط ، أعطيته رقم هاتفي وعرف كل شيء عني ، مكانة عائلتي الاجتماعية والمادية .. لكنه أصر أن يرى صورتي ..

ــ هو أنا هفضل أكلم الوشاح الأحمر طول عمري لازم أشوف القمر اللي وراه ، وصاحبة الصوت الملائكي ده.

أصر أن يرى صورتي .. رفضت كثيرا ، حتى بدأ يستفزني ، أني على ما يبدو أشبه بمبه كشر ، لكنني كنت أعتبر هذا كله محاولة منه لإجباري على إرسال صورتي .. ازداد إلحاحه واعتبرها عدم ثقة فيه ، حتى وجدتني أرسل صورتي ، لأثبت له ثقتي الكبيرة فيه ونبضات قلبي تهبط وترتفع وأنا أتلهف إلى رد فعله ، وما أن رأى صورتي حتى أبدى إعجابه بها

ــ إيه الرقة والرومانسية والأنوثة دي .. سبحان من أبداع في رسم جمالك

ــ بجد شايفني جميلة ..

ــ إنتي .. ملاك .. حور العين يمشي على الأرض .

وهكذا استمرت علاقتنا لشهور ، حينما يتأخر عن موعدنا اليومي أحادثه في الهاتف لأطمئن عليه . صرنا نعشق بعضنا البعض ، دون أن يخبر أحدنا الأخر بمشاعره الحقيقة تجاه الأخر ، صرنا روحا واحدة في جسدين ، حينما يتألم أحدنا يصرخ الأخر، حينما يغيب أحدنا تغيب الدنيا عن الأخر ، لا يبدأ يومنا إلا بصباح الخير ولا ينتهي إلا بـــ تصبحي على خير . حتى جاءت المبادرة منه ، وبدأ يعترف بعشقه الذي أرق حياته

ــ أميرة

ــ نعم يا عمر عايز إيه ؟

ـ قاعدة بتعملي إيه ؟ خلصتي مذاكرة ولا لسه ؟

ـ أيوه ، فتحت الفيس علشان اطمن عليك ، أتعشيت ؟

ـ المهم إنتي أتعشيتي ، وذاكرتي كويس ؟

ـ كله تمام يا فندم ، ذاكرت كويس جدا ، والعشاء بعد كلامنا علشان أتعشى وأنام .

ـ طيب .. يعني هتنامي على طول ؟

ـ مالك يا عمر .. حاسه إن في كلام وأقف في زورك .. قوله لتموت ويكون ذنبك في رقبتي

ـ فعلا في موضوع عايز أخد رأيك فيه بس ما ترديش دلوقت .. خدي وقتك وفكري كويس وبكرة ردي عليا ..

ـ في إيه قلقتني ..حاسه انك بتودعني

ـ هو فعلا ممكن يكون وداع بينا ، بس ده هيرجع لردك إنتي على الموضوع .. وصدقيني مهما كان ردك برضوا هنفضل أصدقاء

ـ قول بقه قلبي هيقف من كلامك ده

ـ أنا بحبك .. بحبك أووي وبصراحة حكاية أخوكي وصديقك ده مش قادر عليها .. إنتي حبيبتي وروحي وقلبي .. قولتي إيه ؟

توقف نبض قلبي ، وتسارعت دقاته ، تجمدت أطرافي، هرعت الدموع من عيوني ، لم أتمالك أعصابي وأصابعي ترتعش وأنا أحاول أن أكتب الكلمة وأتردد عشرات المرات ، اكتب وأنا أيضا أحبك ،أعشقك ، أريدك أنت فقط ولي وحدي .. ثم أحذفها وأعاود كتابتها ، ثم أحذفها ، أنادي على ذلك الشرطي القابع في مكتبه ، أتأمل وجهها وعيونها الحادة ترمقني ، تصرخ فيا ، لقد خالفت كل قواعد اللعبة يا ميرو بحت بأسرار عائلتك ، أعطيتيه رقم هاتفك ، وصورتك ، والآن تعطيه قلبك ، لكنني نظرت إليها بتحد واضح ، أخرجت لساني وأنا أغمز بعيوني إليها وأكتب بكل ثقة وبكل قوة

ـ وأنا بحبك كمان ...

عشنا شهورا من السعادة ، نتبادل عبارات الحب ، نستيقظ على الأغاني الرومانسية وننام على دقات قلبينا ، رسمنا أحلامنا المستقبلية على الورق ، سيكون بيتنا صغيرا ، يجمع بين قلبين كبيرين ، سيكون يوم اعترافنا بالحب يوما تاريخيا ، يتغير فيه وجه التاريخ ،

وتتوقف الفصول الأربعة ، وتكف الأرض عن الدوران ، ستكون قصة حبنا، رواية يحكيها أولادنا وأحفادنا من بعدنا ، سننجب أربعة أطفال أكبرهم حمزة وأصغرهم فاطمة ...ونسينا كل شيء وتعايشنا مع عالمنا الصغير الجميل .

رغم كل هذا الحب كنت اصطدم بتحفظات عمر ، والذي يذكرني دائما بالفوارق الاجتماعية التي بيننا ، ولكنني كنت أضرب بتلك التحفظات عرض الحائط ، أخبره بأن حبنا قادر على أذابه كل تلك الفوارق الوهمية .

لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ..

وصلتني منه رسالة غريبة أزعجتني كثيرا ، وأوجعت قلبي

ـ إلحقيني يا أميرة أنا في كارثة ومصيبة

ـ في إيه يا عمر خير ...

ـ دعاء انتحرت

ـ دعاء مين يا عمر ؟

ـ دعاء البنت اللي كنت مرتبط بيها قبلك

ـ مين قالك يا عمر ؟

ـ أختها حنان كلمتني، وقالت لي إنها حاولت الانتحار، بعد كلامها معايا ، اللي عرفت منه إني بحبك ومرتبط بيكي

ـ ما قولتليش قبل كده انك رجعت تكلمها يا عمر

ـ أبدا وحياتك .. فاكره الصفحة إلى قلت لك إنها لبنت أنا معرفهاش ، بس هي مصره تكلمني .

ـ بس أنت قولت لي انك رفضت ترد عليها ، وطلبت منك تعملها حظر ، مش تكلمها وتحكي لها قصة حياتك ، علشان في النهاية اكتشف أنها حبيبة القلب يا قيصر العشق

ـ طيب اهدي أنا بكلمك ،علشان أعرف منك أعمل ايه؟

ـ هتعملها إيه .. أنت في دولة غير الدولة ، ولا ناوي تنزلها مخصوص علشان تطمن عليها ؟

ـ لا طبعا بس على الأقل ،أقف جنبها في أزمتها لحد ما تمر منها وتستعيد صحتها ، وكمان أفهمها إني مرتبط بإنسانه ثانية وبحبها جدا واستحالة أفرط في حبها

ـ أنت شايف كده ؟

ـ إنتي شايفه غير كده ؟

ـ أنا شايفه انك حنيت لحبك القديم يا قيصر العشق ، وعلى العموم اعمل اللي أنت شـايفه صح ، وأنا منتظره قرارك .

ثم أغلقت باب الحوار ، ودموعي تغرق خدي، وتظهر على كلماتي الغاضبة ، ولأول مرة لم يشعر بما أحسه ، وكأننا كنا توأم سيامي وانفصلنا للتو، أو كنا روحا واحدة فـي جسـدين وافترقا ، أغلق الحوار دون أن ينطق بكلمة تطيب خاطري أو تسـاعدني علـى اسـتعادة توازني من جديد ، مضى وكأنه فرح بعودة حبيبته دعاء .

كان هذا أول خلاف بيننا ، لم يفكر أحدنا أن يسأل عن الأخر ، صـرنا أغـراب وانقطعـت الأخبار ، كرهت أن افتح صفحتي ولا أجده ،أو لا أجد رسالة صغيرة منه يطمـئن علـى كالعادة

مرت الأيام وحالتي في تدهور ، وتعكر مزاجي العام كثيرا ، كنت أصرخ لأتفه الأسـباب ، أنام طوال الوقت ، أتجاهل مواعيد الطعام ، بل ارفضه تماما ، ابتعدت عن الفيس والفون ، صارت حياتي كلها في سريري . وبدأت أشعر بصداع في رأسي من الأرق ، وضعف فـي جسدي ، مما أثار حفيظة أمي التي بدأت تسألني عن السبب ، وتطالبني بالإجابة ، لم أشعر إلا وأنا أجلس بين يديها كقطة جريحة، لأبوح بكل ما في قلبي وعقلي .. كنت سأنفجر من الغيظ ، أن لم أجد من أبوح له بما أعانيه .

حكيت لأمي كل ما حدث بالتفصيل ، أخبرتها أني خالفت شروط اللعبة ، وحنثـت بوعـدي، وقعت في براثن العشق ، بحت بأسرار عائلتي ، أرسلت صورتي ورقم هاتفي ، عشقت من خلال تلك الشاشة الملعونة ، من خلال موقع التواصـل الاجتمـاعي FACE BOOK..

كان رد أمي عنيفا .. لامت نفسها كثيرا جدا ، كيف تركتني أصـل إلـى تلـك المرحلـة الخطيرة ، كيف لم تتابع ابنتها ، تراقبها ، تنقب خلفها ، تتفقد شروط العقد بينهما .. مـاذا شغلها عن ابنتها .. حياتها الجامعية .. تلك المحاضرات العقيمة التي تلقيها يوميـا علـى مجموعة من الطلبة ، الذين لن تغني عنهم تلك الشهادات من شيء ، أين ذلك الأب فـؤاد شهاب .. يعمل دبلوماسيا في فرنسا ، ويترك ابنته هكذا في مهب الريح ، مـاذا اسـتفادت أسرته من توطيد العلاقات مع فرنسا .. ضاعت ابنتهما في براثن هذا الوحش الذي ألقى به

ذلك الملعون مارك ...وبدأت أمي في إلقاء محاضرة طويلة عن ذلك الوهم والخداع الذي أوقع بابنتها في براثن ذلك الشاب اللعوب .انتزعت منى كل المعلومات التي اعرفها عنه دون أن اشعر .

لم أتأثر لكلماتها .. بل تماديت في غيي .. انتظر من عمر رسالة تعيد إلى روحي .. أفتش في رسائله القديمة .. أقرا عبارات الغزل الممزوج بالكذب ، أبكي على فراقه ..وملايين الأفكار السوداء تدور في رأسي ، هل عاد إلى دعاء وتزوجها .. وتركني أعاني من العذاب . كان كاظم يواسيني وهو يغرد .. استعجلت الرحيل ورحلت في غير أوان ...

مرت عشرة أيام والشك وسوء الظن يقتلني ، حتى جاءت رسالته التي ردت إلى روحي ، أعادت الحياة إلى جسدي منحتني طوق النجاة ، أثبتت لأمي أني لم أخطأ في اختياري ،عمر هو قيصر أحلامي ، هو ذاك الفارس الذي سيخطفني على حصانه الأبيض إلى الخلد فأنا حبيبته وعشقه الأبدي.. قرأت رسالته بشغف وقلبي يرقص فرحا ، ودموعي تروي خدودي الوردية وتلقي بقطراتها بين شفتي القرمزية ..

ــ وحشتيني يا بطتي .. قلبك طاوعك تخاصميني عشرة أيام

ــ كنت منتظرة نتيجة اختيارك وقرارك النهائي

ــ يا عمري أنا مليش غير بطه واحدة هي حبيبتي وروحي وقلبي وأم العيال ، لكن دعاء دي مجرد حالة إنسانية لازم أقف جنبها عشان العشرة والمعرفة اللي بينا، كأخ وصديق مش أكتر، وكان مستحيل أرفض مساعدتها ،عشان تمر من أزمتها ، لكن إنتي الحب كله .

وهكذا عدنا كما كنا وأكثر ، رغما عن أنف أمي ، التي طالبتني إنهاء تلك العلاقة فورا ، فهي ترى أنه إنسان مخادع يتسلي بي في غربته ، وحينما تعود إليه حبيبته سيتركني للنسيان ، لكنني رفضت أن أتخلى عن عمر ، ضاربة بكلام أمي عرض الحائط ، ومشيت وراء قلبي المولع بعشقه ..وكان كل يوم يمر بيننا يزيدنا عشق وغرام وارتباطا لقلوبنا .

لم تمر على عودتنا إلا فترة وجيزة ، حتى ظهرت دعاء في حياتي من جديد ، دخلت إلى صفحتي وأرسلت رسالة عبر الشات . كان مضمونها كفعل خنجر سام في قلبي.

ــ أميرة .. أنا عارفه كل اللي بينك وبين عمر ، وكمان عارفه انك إنسانة محترمة وألف إنسان يتمنى تراب رجليك .. لكن عمر لا .. أرجوكي ابعدي عنه .. أنا وعمر قصة حب

عنيفة على مدار سنين .. وأهلي وأهله عارفين كل ده ، يعني من الأخر شبه مخطوبين، وأنا منتظرة عمر ينزل في شهر مارس ، وإحنا خلاص حددنا معاد الخطوبة وحجزنا القاعة وأنا اشتريت فستان الخطوبة ، ومنتظرة رجوعه علشان حفلة الخطوبة ، وخلافنا ده كان مجرد زعل عادي بين أتنين بيعشقوا بعض ، لو سمحتي ابعدي عنه ، بصراحة هو مكسوف يقولك كده ، وطلب مني أبلغك كده بالنيابة عنه، وهو كان يتعامل معاكي كأخ وصديق نظرا لظروفك الخاصة اللي إنتي حكتيها له ، من فضلك ابعدي عنا ، ما تفرقيش بين أتنين عشاق .

أشعل الدكتور سامح الأباجورة الواقفة بجوار الشيزلونج الراقدة عليه ، لينهى الجلسة بضغطة من إصبعه على زر الكاسيت ليوقف جهاز التسجيل ويقول بابتسامة كبيرة

ــ اتكلمتي كتير أوي النهارده يا أميرة

بدأت أتحرك فوق الشيزلونج ببطء ، وأنا أنظر إلى ساعتي بقلق شديد ، لقد مر على هنا ما يفوق الأربع ساعات ، مما فوت عليا فرصة الذهاب إلى دكتور عصام طبيب النساء لأطمئن على هذا الطفل المكوم بداخل رحمي ينتظر ساعة خروجه إلى الدنيا

ــ ممكن توصفي لي شعورك بعد أربع ساعات فضفضة

ــ سعيدة جدا .. وإحنا على ميعادنا الجلسة الجاية

ــ بس المرة الجاية هنغير شكل جلسة المكاشفة ، هحاول أناقشك في كل تفصيلة

خرجت أميرة من غرفة الكشف، وهي سعيدة ، فلقد أخرجت كل ما بجعبتها ، نظرت في ساعتها فوجدت أن الوقت قد تأخر ، لقد فوت عليها دكتور سامح موعدها مع دكتور عصام ، فعادت إلى فيلا والدها بمصر الجديدة . ما أن دخلت حتى استقبلتها أمها بابتسامة عريضة ، تأملت بطنها التي بدأت تعلو لتعلن عن قدوم طفلها الأول حمزة

ــ روحتي للدكتور

ــ لا ما لحقتش والله يا ماما

ــ وبعدين معاكي مش اتفقنا تروحي لدكتور سامح

ــ أيوه روحت له .. افتكرتك تقصدي دكتور عصام .. روحت لدكتور سامح وأخذت الجلسة ، وأنا سعيدة جدا إني لقيت حد أفضفض معاه ويسمعني ، كنت محتاجه ده من زمان ألاقي حد يسمعني كصديق

ـ ٢ ـ

جلست أميرة على الشيزلونج من جديد ، ودكتور سامح يشغل ذلك الضوء الخافت ، وتلك الموسيقى الهادئة التي تدعوا للاسترخاء ، ضغط الدكتور سامح على زر التسجيل

ـ هنكمل على ما سبق ذكره بس خليني أسالك ، إيه كان رد فعلك على رسالة دعاء ؟

ـ طبعا ما ردتش عليها بكلمة واحدة ،لأني مكنتش مصدقاها واعتبرتها محاوله للوقيعة بيني وبين عمر واحتفظت بالرسالة وانتظرت عمر في الميعاد المحدد بينا ، وبعت له الرسالة كوبي وطلبت منه شرح الموقف ، وإيه هي الظروف الخاصة اللي أنا فيها ؟ لكنه ما ردش غير بجملة واحدة بس " انسيها وقدري ظروفها النفسية ومحاولة انتحارها ، ومحاولتها الفاشلة إنها ترجع علاقتها بيا تاني " وانه رفض كل محاولاتها ومحاولة أختها واني حبيبته الوحيدة مما أطمئن له قلبي وأراح عقلي.

وهل دعاء اكتف بالرسالة دي بس ؟

ـ لا طبعا بل كانت أكثر شراسة ووقاحة في الدفاع عن حبها لعمر ، بس أنا استعملت معها كيد النساء وحاولت استفزها ، وأعرفها إن أنا ملكة قلبه وحبيبته الوحيدة.

في أحد المرات علقت على منشور رومانسي قد نشره عمر على صفحته الشخصية ، لكنه كان أكثر دهاء ومكر، فرد بتعليق أكثر رومانسية فردت هي بصورة توحي بمدى بغضها لي وغيرتها العمياء، وفي نفس الوقت ترسل رسالة مفادها أنها هنا ولن تترك الأمور تمر بسلام هكذا .فكان ردها المهين والقاتل.. أرسلت رسالة على الخاص ، تحمل وابل من الشتائم والتشبيهات غير اللائقة

ـ وهل سكتي كالمرة السابقة ؟

ـ لا مقدرتش أسكت .

كلماتها الجارحة أجبرتني على الرد ، وحولتني من فتاة أرستقراطية إلى بنت (لوكال)ترد الشتيمة بعشرة أمثالها ، حتى شعرت بالخجل من نفسي وبدأت أتراجع ، وأرسل عبارات الاعتذار عما بدر مني من شتائم غير لائقة ، رغم انه كان رد فعل على وقاحتها ، لكنها استعملت سلاحها الفتاك ، وألقت بعبارات أربكتني وجعلتني أتجمد من الخوف ، بأن عمر هو من طلب منها ، أن تفعل ذلك ، هو من أعطاها حسابي منذ البداية ، وطلب منها أن ترسل تلك الرسائل ، وان تطلب مني أن أترك عمر وابتعد عنه .

كانت كلماتها صدمة أفقدتني القدرة على الرد، كان قلبي يكذبها ، تلك الكاذبة التي تحاول أن تصدع تلك العلاقة بيني وبين عمر ، لكن عقلي كان يصدق كل كلمة قالتها ، يبدو أن عمر يحاول إشعال نار الغيرة بيننا ، ليصبح(دنجوان عصره) ، الذي تتقاتل النساء من أجل الوصول إليه ، لكن قلبي انتصر على عقلي ، لم أرد عليها وأغلقت باب الحوار ، حتى استوضح الأمر من عمر ، ومن خلال مكالمة هاتفية شرحت لعمر كل ما حدث بالتفصيل ، لكنني فوجئت بردود باردة من إنسان مهزوز عديم الشخصية ، بدأ صوته يرقص فرحا ، بصراع أميرة ودعاء على حبه ، وهو يريد أن يمسك العصا من المنتصف ، لا يريد أن ينصفني عليها ، رفضت كل مبرراته التافهة وكلامه المغموس بالكذب ، وقررت الانسحاب حفاظا على ماء وجهي . فحبه الذي كان عبارة عن زهرة غرست في قلبي ، كنت أظنها زهرة ياسمين ستطرح عطرا ، لكنها كانت زهرة صبار، تقطر في قلبي وحلقي صبرا ومرا .

ابتسم دكتور سامح وهو يمد يده ليغلق زر التسجيل ويردد

ــ وهكذا مات الحب وانتهت تلك القصة الرومانسية الزائفة

لكنني مددت يدي لأمنعه من غلق التسجيل ، فحكايتي لم تنتهي عند هذا الحد ، لم تمر ثلاثة أسابيع حتى عاود الاتصال بي مرة أخري . فرحتي لم توصف حينما رأيت رسالته على الوتساب رسالة واحدة فقط ،كانت كفيلة برد الروح إلى الجسد الميت

ــ وحشتيني يا ملاكي الجميل

لم تكن رسالة مكونة من أربع كلمات ، بل كانت عاصفة حولت رماد حبه في قلبي إلى بركان ثائر ، حمم مشتعلة من الفرحة والسعادة ، وتأكيدا لانتصار قلبي ، وهزيمة عقلي بأفكاره السوداء .

بدا على دكتور سامح أن هناك سؤالا يلح عليه، فأشار إليها أن تصمت ، لكي يطرح سؤاله .

ــ لحد دلوقت ما عرفتش أزاي ماما تركتك تستمري في العلاقة دي

ــ ماما كانت بتخطط لأبعد مما أتصور .

خلال الثلاثة أسابيع التي افترقنا فيها ،عادت حالتي النفسية تسوء ، وبدا وكأنني أترنح تحت ضربات عمر القاسية ، بدأت انعزل عن الجميع ، أحاول أن أخفي ما يغلي بداخل قلبي

، ولكنني اندهشت كثيرا، أن أمي لم تعد تعيرني انتباها ، بل امتنعت عن الحديث معي في موضوع عمر .

لكنني عرفت بعد ذلك ، أن القصة برمتها قد وصلت إلى والدي ، ونقلت أمي إليه تلك الصورة السوداء ، بأن إنسان غير سوي يتلاعب بمشاعر ابنتها الوحيدة ، طمعا في وضعها الاجتماعي والمادي المرموق ، وأن أميرة قد جارفها تيار العشق ، فغرقت في دوامة لن تستطيع الخروج منها ، فما كان من والدي إلا أن اتصل بخالي شكري الضابط في الأمن الوطني، الذي بحكم وظيفته استطاع أن يجمع كل المعلومات عن عمر داخل مصر وخارجها ، ونقل تقريرا مفصلا إلى والدي ، ورغم اعتيادي محادثة أبي يوميا ، ألا انه لم يتطرق في حديثه معي عن عمر من قريب أو بعيد ، وكأنه لا يعلم عن هذا الموضوع شيئا ، ولكنني لم أهتم ، فعشقي لعمر أنساني الجميع. ومن شده حبي له وفرحتي بعودته لم أسأله عن علاقته بدعاء أو وضعها في حياته..

وعادت المياه بيننا إلى مجاريها ، عادت ليالي الحب بيننا من جديد ، عدنا كطفلين صغيرين نشرب من بحر العشق بلا ارتواء. أقسمت له أنه من المستحيل أن أكون لأحد غيره ، فأقسم أن لا يكون لأحد غيري .

كدت أطير من الفرحة حينما أخبرني أنه سيعود إلى مصر في أجازة طويلة خلال شهر مارس ، وأنه قد حجز تذكرة السفر ، وسيعود خلال أسبوع ، انتظرت أن يخبرني أن أحدد له موعدا مع والدي ، ليأتي ويخطبني ، لكنه لم يخبرني ، حاول قلبي أن يوهمني أنه يحضر لي المفاجأة

وأنا انتظرت تلك المفاجأة ، ومن فرحتي بعودته إلى مصر ، حلمت بأشياء كثيرة جدا ، منها أن يطلب مني أن أنتظره في المطار،لكنه لم يطلب ، رغم أننا ليلة سفره ظللنا نتحدث طوال الليل ، أتابع كل تفصيلة يقوم بها، حتى دخل ليأخذ حماما، ويرتدي ملابسه ويحمل حقيبته ويتوجه إلى المطار قبل الفجر بدقائق ، واستمر بيننا الكلام حتى صعد الطائرة ، وانقطع الاتصال بعد إقلاع الطائرة .

اكتملت سعادتي حينما أخبرني أبي ، أنه قادم من باريس لقضاء إجازة لمدة أسبوع ، كل أحبابي الآن حولي عمر حبيب القلب وفؤاد شهاب عشقي الأول والأخير ، شعرت أن القدر يلعب لعبته الجميلة ، وأن حضور أبي يتزامن مع عودة عمر ، ليكون اللقاء، الذي سيثمر

عن إعلان خطوبتنا ، لذا قررت أن أخبر والدي بالموضوع برمته ، على الرغم من يقيني ، بأن أمي قد سردت له كل شيء عن عمر ، لكنني قررت أن أصحح تلك الصورة المشوهة التي رسمتها أمي باحتراف كبير وأشرح له أيضا مدى حبي وعشقي له .

حضر والدي بطلعته البهية ، حضرت معه الدنيا ، وتحول البيت من قلعة من الصمت إلى مدينة ملاهي ، تزينت بالأضواء والفرحة والسعادة ، كانت سعادة أمي لا توصف ، كانت تبدو كعروسة حضر عريسها تزينت وتعطرت ، وبدت بأبهى حلة ، إلى أن انتهت مراسم الاستقبال ، بذلك العشاء الفاخر الذي أعدته داده خيرية ، وصعد والدي درجات السلم إلى غرفته ،وهو يحتضن ذراعي ووقف عند غرفتي ثم فتح الباب

ــ بابا .. ممكن بعد إذنك .. محتاجه من وقتك دقايق

ودخلنا وأغلق الباب خلفه ، أخذت أتأمل ملامحه القوية ، تلك الخصلات البيضاء التي بدأت تظهر في شعره ، جسده الممتلئ وعيونه الواسعة ، وابتسامته التي تزيل أي حزن قد يحمله قلبي ، وقفت أمامه وعيوني تلمع

ــ يا ترى إيه سر السعادة دي ، يا تري في حد بينافس بابا في قلبك

أشار إلى قلبي الذي أخذ يرفرف من السعادة ، رددت في سعادة ممزوجة بالخجل

ــ شاب وسيم ، جميل الخلق والخلقة ، خطف قلبي وأكيد هيخطف قلبك لما تسمح له يقابل حضرتك

ــ هو طلب منك انك تحددي معايا ميعاد يقابلني فيه؟

ــ لا لسه ، بس أنا حبيت أتكلم مع حضرتك وأوضحلك بعض النقاط اللى أكيد وصلتك غلط

ابتسم أبي ابتسامة ، شعرت منها بعدم الرضا عما أقوله ، لكنني تماديت في كلامي وأردفت وأنا أشعر بخجل كبير

ــ هو رجع مصر يوم التلات بعد الفجر ، ولما هيرتاح هيكلم أهله في موضوعنا ، ويتصل بيا يطلب تحديد موعد مع حضرتك

ــ عارف انه وصل مطار القاهرة الدولي يوم التلات الساعة السادسة صباحا ، وكانت كل إجراءات خروجه من المطار سهله وميسرة وخرج من المطار الساعة السابعة صباحا ، ومكنش في حد في انتظاره ، ركب سيارة أجرة ، وتوجه مباشرة لمحافظة الغربية ووصل المحلة الكبرى.

تجمدت عيوني من هول المفاجأة ، منبهرة بما يسرد أبي لكنني لم أقاطعه ، بل تركته يكمل ما لديه ،قد يكون نهاية كلامه خبر يسر خاطري ، ويزيل الغموض الذي شتت أفكاري

ــ وعرفت كمان أنه اخذ أهله وراح لبيت دعاء وخطبوها رسمي واشتروا الشبكة كمان ،وحجزوا القاعة اللي هتتعمل فيها الخطوبة واشترى بدله الفرح من السعودية

كنت أستمع إلى والدي وأنا منهارة ، ليس فقط مما فعله عمر بقلبي إنما من عيون أبي الدامعة وصوته المختنق بالبكاء ، شعرت بأن دموعه التي انسابت على خده ، كأنها خناجر في قلبي الذي أسرعت دقاته ، وبدأ تتزلزل الأرض من تحت قدمي ، وتدور الدنيا برأسي وأسقط على الأرض فاقدة الوعي .

كانت هذه الحادثة بمثابة بداية جديدة في حياتي ، عدت أنصاع إلى تعليمات أمي ، أعاود الاهتمام بدراستي ، أهملت هذا الموقع الملعون الذي لم أجنى منه غير جرح عميــق فــي قلبي، عدت إلى التفوق لأحقق حلم أمي بإنهاء دراستي والالتحاق بسلك التدريس الجامعي ، وأبدأ في عمل الدارسات العليا .

ضغط دكتور سامح بإصبعه على زر جهاز التسجيل ، وهو ينهي تلك الجلسة وهو يبتسم ابتسامة تفصح عن إعجابه الشديد بما سمعه

ــ لا أظن أبدا أن تكون هذه هي نهاية القصة

ــ لا .. للأسف الشديد .. الظاهر لسه قدامك جلسات كثيرة في انتظارك

خرجت أميرة من عيادة دكتور سامح ، ركبت سيارتها والأفكار تموج بعقلها ما قطعه سوا صوت هاتفها النقال ، نظرت إليه في لهفة ، ثم قبلت المحادثة

ــ أيوه يا حبيبي .. حمد الله على السلامة .. أنا في الطريق وجايا حالا

أغلقت الهاتف وهي في قمة سعادتها ، وهي تحادث نفسها

ــ كم طال غيابك يا توأم الروح ، أنتظر عودتك بلهفة المشتاق ، عشرون يوما تغيب ، وتأتي عشرا ، حمزة القطعة منك والقابع في جسدي ، يسأل عنك ، أين أبي ليضع رأسه على الجدار الجلدي الذي يفصلني عنه ، كم تشتاق شفتاي إلى رحيق شفتيك ، تشتاق يدي لحضن يديك ، إني اشتاق إليك .

كسرت كل إشارات المرور ، تجاوزت سرعتها الحد الأقصى ، تجاهلت استهجان المارة بأن تهدي من سرعتها .. تريد أن تطير من أجل أن تصل إليه ..

ـ ٣ ـ

بينما أنا منهمكة في القراءة والاطلاع للإعداد لمناقشة رسالة الماجستير التي تعبت فيها كثيرا ، إذ وصل إلى أذني صوت يعلمني بوصول رسالة وات ساب ، كان الهاتف بالقرب من يدي ، تطلعت إلى اسم راسلها ، وما أن ظهر ذلك الرقم حتى تجمدت ، وشعرت بشلل يجتاح جسدي الضعيف ، انه عمر يعود من جديد ..

ـ أزيك يا أميرة

نظرت إلى تلك الكلمات القليلة ، التي فجرت جرح عشق مضى ، عشق لا أدري أكان مريرا ، أم أنها كانت أجمل أيام حياتي ، أسرع قلبي ليرد على الرسالة ، ليصرخ فيه .. وحشتني .. لكن عقلي أمسك بيدي وأغلق الهاتف ، ليفوت الفرصة على قلبي ليعود إلى براثن شركه من جديد ، ليترك الوحدانية ، ويعاود السجود إلى ذلك الصنم الذي سيطر على حياتي ومشاعري، طيلة سنوات مضت ، أعود إلى ذلك الوهم الذي أدخلني الجنة ، وأخرجني منها دون أن أتذوق طعم التفاح .. لا يا حبيبي .. لن أعود .

لكن الشيطان لم يكف عن غوايتي ، عاود إرسال رسالة أخرى ، أفاقت مشاعري من غيبوبتها الطويلة ، وأجبرتني على التفكير في الرد

ـ عايز أطمئن عليك ردي ولو بكلمة

صممت على عدم الرد ،وأن أفتح بيدي ذلك الباب الذي أغلقته في وجهه وبقوة .

ابتسم دكتور سامح ، وهو يسألها

ـ أوعي تقولي انه زهق وقفل وقال أنا عملت اللي عليا !

ـ أبدا وكانت الرسالة الثالثة

كانت رسالة طويلة وعقيمة ، أبدى فيها اعتذاره عن انشغاله ، وظروفه الصعبة ، والمشاكل الكثيرة التي واجهته طوال فترة الأجازة والتي منعته أن يكلمني ، رغم اشتياقه الشديد لحبيبته على حد زعمه !

قرأت رسائله ، وأنا أضحك بسخرية ، من ذلك الكاذب المخادع ، الذي يصر على وصمي بالغباء ، كم لدغت من جحره مرات ومرات .. لكنني لم أرد سوا بكلمة واحدة

ـ مبروك

وأرسلت له صورته مع دعاء من حفلة الخطوبة ، كم كنت أمني نفسي أن أكون مكانها ،أجلس بجواره بفستاني الأحمر الطويل .. الذي اشتراه لي والدي من باريس في أخر زيارة له ، رد في ذهول ، وشعرت أن الدنيا دارت به ، أن يداه صارت مرتعشة ، وقلبه ينبض بشدة ، وكأنه لص تم القبض عليه وبحوزته المسروقات ، ورغم كل ذلك يعلن أنه بريء .

ــ غرفتي أزاي ؟ و أزاي الصورة دي وصلت لك ؟

ــ فاكر لما كنت بعرفك بأهلي ، ووظايفهم في الدولة ، يومها قولتي .. أنتم حكومة ! فمن السهل على الحكومة تعرف خط سيرك يا مواطن

ــ أميرة .. أنا حكيت لك ظروفي ، وقولت لك كتير أنه مستحيل يكون في ارتباط بينا ، أنتي نجمة بعيدة وعاليه ، مقدرش أطلعاها ، ولا أهلك هيسمحوا لي بكده ..

وأرسل لي أغنية كاظم الحب المستحيل .. أعرف أني أعيش بمنفى .. وأنت بمنفى .. وبيني وبينك ريح وبرق ورعد وثلج ونار .. وأعرف أن الوصول لعينيك وهم .. وأعرف أن الوصول إليك .. إليك انتحار

فما كان مني إلا أن صرخت في وجهه ، وكأنه ماثل أمامي .. كنت أتمني أن أصفعه على وجهه ، أن أقتله لأتخلص من هذا الكابوس الجاثم على صدري

ــ بطل كدب بقه ، أنت ما حاولت أصلا .. في الوقت اللي كنت بكلم والدي عنك وبمهد لك الطريق وكنت مستعدة أضحي بالدنيا عشانك ، كان والدك هنا في القاهرة بيخطبلك دعاء ، في الوقت اللي كنت بتكلمني فيه عن حبنا وحلمنا ومستقبلنا سوا ، كنت سيادتك بتشتري بدلة الخطوبة ، أرجوك أبعد عني بقه ، وسيبني أنساك ، وأنسى أيامك الحلوة والمرة .

وقفلت الهاتف وقلبي يتقطع ، ودموعي تغسل وجهي، وتمطره مرا ، أتذكر لياليا الجميلة ، عشقنا الذي يلح على أن أعود ، قلبي كان يتمني أن يعاود إرسال رسائل أخري ، كان بداخلي رسائل طويلة، أريد أن أبثها إليه ، ليس عبر الوات ساب ، وليس عبر الهاتف ولكن عبر قلبي ، سأضع قلبي على قلبه ، وأتركه يشكو له كيفما يشاء ، ليس حزنا ولا حقدا ولكنه عتاب الأحباب للأحباب .. فافعل ما شئت لقد عشقتك، والسلام على من اتبع الهوى ..

شعرت بأن دكتور سامح ، ينعتنها بالمجنونة ، أو الساذجة ، لكنه بادرها بالسؤال

ــ هل استمرت محاولاته .. أم يأس من العودة ؟

ــ بعد عدة أيام كرر المحاولة ، أرسل رسالة جديدة .. محتاج أتكلم معاكي ضروري ..

ــ وإيه كان رد فعلك ؟

ــ رديت بسرعة البرق وكأني كنت منتظرة

شعرت من رسالته أنه في ضيق وألم ، ولم أستطع مقاومة قلبي الذي دوما يحن إليه بلا مبرر ، ولكن كان ردي يحمل كل ضيق وعصبية

ــ خير في إيه يا عمر ، عايز إيه تاني ؟

ــ عايز أتكلم معاك وأفضفض زى زمان

ــ قل للزمان ارجع يا زمان

ــ زمان ودلوقتي وبكرة ، هتفضلي واحتي اللي بجري عليها لما الــدنيا بتضــيق عليــا ، وتسود في عيوني ، بتكوني أنتي النور اللي بينور حياتي ، أميرة أنا مخنــوق وتعبــان ، حاسس إني في بحر عميق بغرق فيه

ــ عندك طوق النجاة اللي أنت فضلته واختارته بكامل إرادتك .

كان هذا رد عقلي ، الذي مرر شريط الذكريات المريرة أمام عيني ، لكن قلبي أوقف هذا الشريط ، وأشار للعقل أن يخرج خارج الساحة بعيدا ، كنت أتمنى أن أخذه في حضني ، كما تحضن الأم وليدها ، وأقبله بين عينيه ، أن أمسح على شعره ، وأهمس في أذنه .. سلامتك يا حبيبي يا قرة عيني يا أملي وملاذ قلبي .. اشتقت إليك .. أنا لست حبيبتك .. أنا أمك وأبيك .. أختك الطاهرة ، وعاشقتك المتمردة .. ألقي على همومك . .. لأحملها عنك وحدي .. أنا لك وأنت لي .. تبا لظروفنا التي أبعدتك عني .. لكنه أردف بعبارة أيقظتني من أمالي وأحلامي .. عبارة أعادت عقلي إلى الساحة ، الذي أشار لقلبي أن أخرج أنت ، لا تقتلها أكثر من ذلك،الشرطي يقف على الباب ، ممسكا بلائحة التعليمات

ــ انسي كل اللي فات .. ويلا نرجع زى أول تعارف بينا .. نحكي ونشكي لبعضنا ، وكأننا في عالم لوحدنا ..

ــ ما عدش ينفع يا عمر .. زمان كنا بنسمع لبعض علشان كنا أصدقاء ، لكن دلوقت هنتكلم تحت أي مسمى ؟

ــ إنتي كده بتقفلي باب الرحمة في وشى

ــ من لا يرحم .. لا يرحم ..

ــ أسف إني أزعجتك .. تصبحي على خير

أغلقت الحوار ، وأنا شبه منهارة ، أبكي بشدة على حاله وحالي ، ولكن صوت كبريائي كان أعلى من صوت عقلي وقلبي معا .. ظهر ليعلن بقوة أن لا رجوع لحدود ما قبل الخيانة ..

ــ خيانة !

ــ نعم خان قلبي، الذي وعده أن يكون له ، أن لا يرتدي ثوب السعادة بدوني ، أن لا تلامس كفه كف امرأة غيري ، أن لا يضم صدره امرأة غيري .

مرت الأيام والأسابيع والشهور ، كنت أنتظر منه رسالة .. أتلهف لمعرفة أخباره ، لكنني شعرت أنه ما زال يعاني ، يبدو أنه أساء الاختيار لكن بعد فوات الأوان ، لن يستطيع مغادرة قلب دعاء ، ولن يستطيع العودة إلى قلبي من جديد. أما أنا فلقد انشغلت بالتحضير لمناقشة رسالة الماجستير ، في الوقت الذي كنت منشغلة بالتدريس في الجامعة ، أرفض بشدة أن أخوض تجربة حب جديدة ، تجاهلت عيون المعجبين ، سوا داخل الجامعة أو خارجها .. وكأن عمر قد أخذ قلبي معه للأبد ، لم يعط فرصة لأحد أن يحل محله على عرش قلبي .

ابتسم دكتور سامح وهو يغلق جهاز التسجيل ، ويبدأ في شرح حالتها التي تعاني منها ، أنها مشكلة التعلق بالحب الأول ، لقد أكد على مقولة إحسان عبد القدوس .. الحب الأول وهم كبير .. ابتسم وأميرة تغادر الغرفة، على أمل اللقاء في جلسة المكاشفة التالية ..

كانت على موعد مع دكتور عصام، طبيب النساء والتوليد والذي وضعها على جهاز السونار ليسمعها صوت حمزة ، من داخل رحمها ينادي عليها .. ماما ، شعرت بالسعادة ويده تحتضن يدها وهو يبتسم في وجهها فتظهر الغمازتين اللتين تزينان وجهه الوسيم وعيونه السوداء ، احتضن يدها بشدة وقبلها ، ثم طبع قبلة أخرى على وجنتها ، ولولا وجود دكتور عصام لقبل شفتيها .. لكن قطع خلوتهما خلف الستار صوت الدكتور عصام

ــ هانت يا أسامة .. كلها شهر وحمزة باشا يشرف الدنيا

ــ الأهم عندي سلامة أميرتي يا دكتور .. حمزة يتعوض .. لكنى أميرة حبي أنا لن تعوض

نظرت إليه في عشق .. وهمست في أذنه ..

ــ تسلم ليا يا سمسم يا حبيبي ..

انصرفا من عيادة دكتور عصام ، وتوجها إلى فيلا فؤاد شهاب ، الذي وصل منذ أيام من الولايات المتحدة الأمريكية ، بعدما أنهى مدة خدمته الوظيفية ، وأصبح الآن على المعاش ، وكانت سعادة السيدة فريدة المراسي بالغة وهى تجد حبيب قلبها يؤنس وحدتها أصبح فؤاد كل حياتها ، فعوضته عن سنوات الغربة الطويلة بسنوات حب وحنان ، أصبحت تغار من أميرة ، حينما يحضنها ويغازلها ويهمس في أذنها فيضحكان سويا .. فكانت أميرة حينما تلاحظ غيرة أمها تبادرها .. لا تخافي يا أمي فأنت ملكة فؤاد فقط ، أما أنا فأميرته المدللة .

ـ ٤ ـ

جلست أميرة على الشيزلونج ، وهي مستمتعة بتلك الموسيقى الهادئة ، كانت تشعر براحة نفسية وهي تفرغ تلك الشحنات الكبيرة من البوح ، لتتخلص من تلك الذكريات الأليمة إلى الأبد ، كانت تعتبر أن تلك الجلسات بمثابة سلة قمامة ، تلقي فيها كل الماضي كان يجب أن تخرج من تلك التجربة ، بيضاء نقية ، لتتفرغ لحياتها مع أسامة وابنها حمزة .. ضغط دكتور سامح على زر التسجيل ، لتبدأ حلقة جديدة من المكاشفة التي أدمنتها .

ـ أكيد عمر كرر الاتصال بيكي ؟

ـ طبعا ..

لم يمل من إرسال رسائله ، التي تحاول إشعال نار العشق في قلبي ، أرسل رسالة كان يظن أنها ستكون بمثابة صاروخ ، سيدمر كل ما مضى ، ليبدأ في بناء جسور وكباري ، يعبر عليها إلى قلبي من جديد

ـ أميرة .. أنتي لسه بتحبيني ومتنظراني ؟

ـ لا يا عمر .. أنا اتخطبت ..

في فترة البعد الأخيرة ، ظهر أسامة ، ضابط في القوات المسلحة ، شاب وسيم من أسرة عريقة ، والده عقيد في الجيش ، وأمه دكتورة صيدلانية تمتلك سلسلة صيدليات في القاهرة الكبرى والإسكندرية ، أسامة كان نسخة كربونية من والدي ، الأخلاق والالتزام والطيبة والحنان .

كان أسامة عرض لا يمكن رفضه ، التقينا في حفلة زفاف فرح ابنة وزير الخارجية في فندق النيل هيلتون، كنت أرتدي فستان سيواريه أحمر ، وأرتدي اسكارف أحمر ، ما أن رآني حتى لمعت عيناه ، حاول التقرب مني ، لكنني التزمت بتعليمات الشرطي القابع بجواري ، بأن (التقل صنعة)

اقترب من المائدة التي كنا نجلس عليها ، سلم على والدي ، والذي عرفه علينا ، لم ينزل عينه من علي ، بدأ يوجه الكلام نحوي ، طلب مني أن أراقصه ، حينما كان يرقص العروسان ، وتحولت القاعة إلى ثنائيات في الرقص، طلب يدي فقلبت ، طوق ذراعيا

وصوت ماجدة الرومي تردد ..يسمعني حين يراقصني .. كلمات ليست كالكلمات .. يحملني من تحت ذراعي .. يزرعني في إحدى الغيمات

لم أشعر بأسامة إطلاقا .. كنت أتخيل أني أراقص عمر .. فشعرت بالسعادة تغمرني وأنا أراقصه .. حتى انتهينا وعاد كل منا إلى مقعده ، وما أن جلست بجوار أمي حتى قرصتني من فخذي ، وهمست في أذني ..

ــ بزمتك ده ولا الفلاح اللي إنتي بتحبيه

..نظرت لها مبتسمة ، ولكنني صمت لأسمع قلبي يرد نيابة عن لساني ، ذلك الفلاح حبي وعشقي رغم البعاد.

علي مدار أيام ، كانت الزيارات العائلية قد تمت ، وانتهت بإعلان الخطوبة ، جلسنا سويا أكثر من مرة ، تحاورنا في موضوعات كثيرة ، وبدأ بيننا تفاهم شديد ، ورغم كل التقدير والاحترام الذي كنت أكنه لأسامة ، لكنني لم أستطع إخراج عمر من قلبي لأجلس أسامة بداخله بدلا منه ، وكأن قلبي قد أصبح حكرا على عمر ، وأن حبه صار سياج من نار حول قلبي يمنع دخول غيره .

كنت صريحة جدا معه ، حينما سألني عن أول حب في حياتي فأجبته باختصار شديد وبدون ذكر أسماء

ــ إحنا بنحب وبنعشق ، لكن للنصيب دايما رأي أخر ، أنا حبيت شاب بكل قلبي، وهو حبني بعقله، واحترم الفارق الاجتماعي اللي بينا وانسحب بهدوء ..

وصدقت المقولة القائلة بأن الجراح والآلام تمحوها الأيام ، لكن أثر الجراح تظل تذكرنا بالجراح طوال العمر .

اندهش دكتور سامح من قدرتها العجيبة على التعبير ، وانتقد فشلها في الخروج من دائرة تلك التجربة ، والتي أصبحت تشكل حلقة من النار حول قلبها، لا تسمح لأحد بالمرور بداخل قلبها ، وبادرها بالسؤال :

ــ وماذا عن علاقتك بعمر ..خصوصا بعد ظهور أسامة؟

عدنا نتحدث من جديد تحت مسمى أصدقاء ، وكل منا يعلم أنه كاذب في توصيف تلك العلاقة ، وأننا ما زلنا نذوب عشقا ، وأنه لن يسمح أحد منا لشخص غريب بأن يدخل ويحل محل الأخر في قلبه ، بدأت أستمع لشكواه من دعاء ، وكيف استطاع خلال فترة

الخطوبة أن يكتشف كم العيوب التي أخفتها عنه ، بأنها ستكون فتـــاة أحلامـــه ، ســـتكون الخادمة المطيعة، ستنصبه شهريار عصره ، له الأمر وعليها الطاعة العمياء .

لكنها بمجرد أن ركلت بقدمها أميرته ، وتسلقت جدران حياته ، وجلست على عرش قلبه ، وفازت على أميرة بحبه وقلبه ، حتى أخذها الغرور ، وغرها نصر زائف ، أنها امتلكت نواصي قلبه ، وسلبته مفاتيحه .

لكنني كنت دائما ألتمس إليها الأعذار ، بعدما عرفت عنها الكثير من حكايات عمر ، فهي نتاج زواج فاشل بين أب سعودي وأم مصرية والذي أثمر عن بنتين ، دعاء الكبرى وحنان الصغرى ، وبعدها اختفى الأب ، ورحل إلى بلاده تاركا زوجته وابنتيه تدبران حالهن ، كانت الأم ضعيفة مسالمة ، وكان لابد للبيت من رجل يدير شئونه ، فارتدت دعاء رداء رجل البيت ، واستطاعت إجبار والدها ، على إرسال المصاريف الشهرية التي حاول أن يتملص منها ، كان يخشاها وينفذ كل طلباتها ، فازدادت رجولة ، ودفنت أنوثتها تحت عباءة الرجولة ، التي ارتدتها رغما عنها .

لكن عمر لم يستوعب كل هذا ، فنشأته الريفية لا تقبل أن تحل المرأة محل الرجل ، كان يريد أن يتقمص شخصية سي السيد ، وتناسى أن دعاء بنشأتها وظروف بيتها مستحيل أن تصبح أمينة.

استمر الحال بيننا هكذا ، عدنا نمارس طقوسنا اليومية في الدردشة ، يسألني عن كل ما يمر بليلي ونهاري ، وأيضا علاقتي بأسامة ، كان دائما يقدم لي النصائح ، والتي كانت تنجح دوما في حل أي مشكلة عارضة تحدث بيني وبين أسامة ، إلى أن وصلت علاقتي بأسامة إلى درجة عالية من الانسجام والحب ، وكان الجميع يحسدوننا .

بدأ عمر يشكو لي من استبداد دعاء ، ورغبتها المستمرة في التملك ، والتي حاولت إقناعه بجدارة ، أن كل النساء تعشقن التملك والسيطرة وحب الذات ، وأن هذه طبيعة ستحاول أن تغيرها ، لكن لم يقتنع بكلامها ، لكنه بدأ يطلب أطرافا أخرى من عائلتها ، للتدخل لإصلاح ذات البين ، وإصلاح الأمور فيما بينهما ، ولقد شجعته على هذه الخطوة الهامة .

عادت المياه إلى مجاريها لفترة ليست بالقليلة ، لكنها عاودت الخلاف من جديد مع بدء الاستعدادات لتجهيز الشقة والمفروشات وعقد الزواج ، كانت كل تلك الخلافات ، تزيد من الهوة فيما بينهما رغم تسارع الخطي نحو إتمام إجراءات الزواج ، كنت أشعر أنه مجبر

على تلك الزيجة ، ولا ادري السبب ، مع كل يوم يمر بيننا ، تزداد العلاقة وتعود من جديد ، في حين تزداد الهوة بينه وبين دعاء ، وبدأ يعقد المقارنات بيننا .

كان دوما يسألني عن المواقف التي تحدث بينه وبين دعاء ، عما إذا حدثت بيني وبين أسامة ، كيف أتصرف ؟

كنت أجيب بكل صدق وصراحة ، لكن يبدو أن إجاباتي كانت تزيد من سكب الزيت على النار ، وتزيد الفجوة بينهما ، وبدأ يعلن أن القدر يعاقبه على ذنوبه التي لم يذكرها، لكنني كنت أصرخ فيه دون أن أتكلم .. انه ذنبي أنا ، رغم أني كنت أشعر بالحزن والأسى على حاله ، ألا أنني كنت أشعر أنه عقاب الله له ..

كان يحادثني ذات يوم عن شكواه من دعاء ، فنصحته بالانسحاب والتراجع حتى لا تصبح الحياة فيما بعد بينهما صعبة ومستحيلة فضحك وهو يخبرني ، أن الوقت قد فات ولن يستطيع الانسحاب أو التراجع لقد تم تحديد موعد حفل الزفاف في السادس والعشرين من شهر أغسطس.

نزل الخبر على كالصاعقة ، لم أستطع استكمال الحوار أو الرد ، لم أشعر إلا بنار الغيرة تحرق قلبي ، وتتسلل إلى أجزائي كشجرة اشتعلت النيران في جذورها ، وامتدت إلى أغصانها وأوراقها ، فتحولت إلى كتلة من اللهب .

طلبت منه أن يرسل لي دعوة فرح ، أريد أن أراه في ليلة زفافه ، أن أتأمل منظره وهو في تلك الليلة ، حتى وان لم أكن أنا العروس ، أن أسلم عليه ، أتأمل عيونه، أتخيل نفسي بجواره ، لكنه رفض وأصر على الرفض ، وقال بمنتهي الخوف الذي أشعرني بضعفه أمام سيدته

ــ أنتي عايزاني أطلق ، قبل ما أتجوز ، دي تقتلني

ــ دي ما تعرفنيش .. قولها دي زميلتي .. أرجوك امنحني الفرصة دي .

لكنه رفض .. حتى أن يخبرني باسم قاعة حفلة الزفاف . كان هذا الحوار هو أخر حوار بيننا قبل حفل الزفاف والتي استمرت لمدة عشرة أشهر ، كانت أطول فترة فراق بيننا

وكانت ليلة الخميس ، الموافق السادس والعشرين من شهر أغسطس ، ليلة زفاف عمر ودعاء ، هي أصعب ليلة مرت بي في حياتي ، كانت مشاعري متضاربة ، بين البكاء والأرق الذي استمر حتى الصباح ، لم أكن أتخيل أن يكون حفل زفافه بغيري ، ظللت

طوال الليل أتخيل أني معه أشاركه تلك الليلة بكل تفاصيلها ، التي رسمناها ذات مساء في خيالنا

هرش دكتور سامح في رأسه ، وبدأ يسألها

ــ وفين أسامة من كل الأحداث دي ؟

ــ أسامة كان إنسان بمعنى الكلمة ، وقف بجانبي يساعدني على اجتياز أزمتـــي ، دون أن يتعرف على تفاصيلها ، أو أن يضغط على جرحي ، على العكس من ذلك ، كـــان يعالجـــه من بعيد ، دون أن أشعر ، حينما كنت أخطى في اسمه وأناديه باسم عمر يضحك من قلبـــه ، وكأنه يداري شيئا ما

ــ وبعدين في زمايلك اللي واكلين دماغك دول

ابتسم ابتسامة خجل ، وأضع رأسي في الأرض من أخلاقه العالية

ــ ده زميلي في الجامعة ، اللي مصر يخلص الرسالة قبلي.

مرت الأيام سريعة وانتهت فترة الخطوبة ، بتحديد موعد حفلة الزفاف ، الذي تم في قاعة فندق هيلتون رمسيس بالقاهرة، وحضره كبار النجوم . كنت أرتدي الفستان الأبيض، وأتأبط ذراع أسامة ، الذي كانت سعادته لا توصف والذي أصر أن نتراقص على أنغام نفس الأغنية التي تراقصنا على أنغامها في أول لقاء بيننا ، ماجدة الرومي .. يسمعني حين يراقصني .. كلمات ليست كالكلمات .. يحملني من تحت ذراعي .. يزرعني في إحدى الغيمات ، والمطر الأسود في عيني يتساقط زخات.. زخات ... يحملني معه .. لمساء وردي الشرفات ...

أغمضت عيوني لأتخيل أنني في أحضان عمر ، لكن أسامة أيقظني بعبارة شلت أطرافي

ــ لا مش عايز خجل الليلة .. بلاش تغمضي عيونك أرجوكي .. أنا عايز أستمتع بسحر عيونك .. يا ساحرتي .

ابتسمت وأنا أضمه بين ذراعيا ، وأنظر في عيونه السوداء ، وأنا مبتسمة فرحة ، ثم أعاود إغماض عيوني من جديد دون أن يراني .. لماذا أحببتك كل هذا الحب يا عمر ؟ ...

ودعت أبي وأمي عند باب غرفتنا بالفندق ، التي حجزها أبي لقضاء الليلة ، وعدة أيام أخرى ، إلى أن يحين موعد سفرنا لقضاء شهر العسل في فرنسا ، كان البكاء هو سيد الموقف ،احتضنت أبي وقبلت رأسه ، واحتضنت أمي والتي همست في أذني وهي تضحك

ــ ابقي طمنيني الصبح .

ثم وجهت كلامها لأسامة

ــ خلي بالك منها يا أسامة .. أنا مليش غيرها

لأول مرة منذ سنوات طويلة أقضي ليلة بعيدة عن أمي ، أغادر غرفتي .. جنتي .. مــلاذ حكايتي وروايتي مع عمر .. لم أكن أتخيل أن أرتدي ذلك الفستان الأبيض لغير عمر .. أن تحضن كفي كف غيره.. أن يضم حضني حضن غيره .. أن يغلق باب الغرفــة وأنــا فــي حضن رجل غيره .. تلك ليلتك يا عمر ، التي حلمنا بها سويا .. فأين أنت الآن مني .. بل أين أنا ؟

وقف أسامة أمامي بطوله الفارع أمسك يدي وابتسم ، مد يده لنزع الطرحة البيضاء مــن فوق رأسي .. وضمني إلى صدره ، فأغمضت عيوني وأنا احتضنه ، فهمس في أذني

ــ بلاش تغمضي عيونك .. أنا مش وحش أوى كده

فابتسمت من جديد ، وهو يلقي بشفتيه على شفتي ، ونغيب في الخلد ، لم أشعر إلا وصوت تغريد العصافير ، يوقظني في الصباح الباكر ، وأنا نائمة بجواره وذراعه تحتضن رأسي ، ما أن فتحت عيوني ، حتى تخيلت عمر من جديد ، فطبعت قبله على خده ، وقبلت رأسه وأنا أهمس في أذنه

ــ صباح الخير يا...

ثم صمت فجأة حينما فتح أسامه عيونه ، في سعادة وبشوق احتضني بشدة ، وغرقنا تحت الملاءة الحمراء من جديد .

مرت عدة أيام على تلك السعادة التي لا توصف ، حتى أخبرني أسامة باستكمال شهر العسل في فرنسا ، كانت سعادتي غامرة حينما عرفت أنني سأزور فرنسا التي كم حلمت بزيارتها ..

حينما خرجنا من مطار شارل ديجول ، كان أبي في انتظارنا بسيارته ، احتضــنني وقبــل رأسي ، وركبنا السيارة إلى فندق لاميزون شانزليزيه ،الذي يقع بجوار نهر السين فــي باريس مدينة النور والجمال .

ما أن وصلنا الفندق حتى ودعت أبي ، ووعدني أن يزورنا قبل نهاية الرحلة ، لــم يضــيع أسامة الوقت ، صعدنا بسرعة إلى الغرفة التي قام والدي بحجزها ، ما أن دخلنا الغرفــة

حتى أعطي أسامة إلى الولد الذي يحمل حقائبنا مبلغا من المال ، شكره الرجل بكلمة وانصرف ..

ألقى أسامة بالحقائب على الأرض ، واحتضنني بقوة وألقي بي على السرير لنمارس العشق ، وهو يهمس في أذني ، أعشقك يا أميرتي أنا وحدي ..

في الصباح كان الإفطار جاهزا ،الخبز الفرنسي المقرمش الطويل وشرائح الجبن الفرنسي والاستمتاع بالمذاق الأصلي للكرواصان ، كان أسامة يطعمني بيديه ، يتأمل ملامح وجهي وأنا أمضغ الطعام ، فأسأله في غزل

ــ أنت مش هتاكل بقه وتبطل فرجه عليا

ــ أنا بأشبع لما بأشوفك قدامي أصلا ..

فأقطع شريحة من الخبز وأغمسها بالمربى وأقترب منه لأضعها في فمه ، فيمد فمه ليلتقطها من يدي ، ثم يجذبني من ذراعي نحو حضنه من جديد ..

في المساء نسير في شارع الشانزليزية وأنا أتأبط ذراعه ، نشتري الملابس والعطور الفرنسية ، نقف لالتقاط الصور التذكارية أمام برج إيفل وعلى ضفاف نهر السين ، نطوف في مدينة بوردو ، ونجلس في حديقة جاردن بابليك .

مرت الأيام سريعا .. شعرت خلالها أنني في الجنة مع أدم أقصد أسامة .. زوجي .. وحان وقت الرجوع إلى القاهرة فلقد انقضت أجازة أسامة وعليه أن يعود إلى العمل .. وأنا أيضا أعود إلى الجامعة .

عدنا إلى القاهرة ، قضينا عدة أيام في شقتنا ، نستكمل جرعات العشق التي لم تنقطع ، إلا حينما حان موعد عودة أسامة إلى عمله ، فعدت إلى منزل أبي ، بعدما اتفقت مع أسامة ، أن أقضي الفترة التي يغيب فيها عني، في بيت أبي ، حتى لا أشعر بالوحدة ، ولا أترك أمي التي صارت تعيش بمفردها ، على أن أعود إلى شقتنا مع عودته

عدت إلى غرفتي القديمة ، حيث مرتع ذكرياتي مع عمر ، شعرت أنه لا يزال في الغرفة ، ما زال صوته يرن في أذني ، ما زالت صورته عالقة على الجدران ، ما زالت عيونه ترمقني ، رغم محاولاتي الانشغال بحياتي الجديدة ، علاقتي الجديدة مع أمي التي تحولت من شرطي ، إلى صديقة أفضفض معها بلا خوف ، تحولت علاقتنا فصارت على النقيض ، فأصبحنا زميلتان في الجامعة وصديقتان في البيت.

ابتسم دكتور سامح ، وهو يهرش في ذقنه الخفيفة

ــ رغم كل ده .. مقدرتيش تنسيه ؟

ــ ما حاولتش أنساه ، كنت محتفظة بيه في قلبي كجوهرة ثمينة ، أحاول أبعدها عن عيون الجميع

ــ بس كده أنتي بتظلمي أسامة ..

ــ أنا معترفة بذنبي .. لكن ما تنساش إن عمر هو أول حب في حياتي ، الحب اللي تملك مشاعري ، الحب اللي رسمناه على الورق .. حبيب وحبيبته .. زوج وزوجته .. أم وأب وأولاد .. ده كان مخططنا ، لكن الظروف كانت أقوى .. أزاي أنسى كل الحب ده ..

ــ رغم كل الجروح اللي خطها في قلبك وبشراسة ؟؟

بعد كل ألم وجرح ، كان رجوعه الجميل وكلامه الرومانسي وحنيته بينسوني نفسي ، مش جرحه وألمه

ــ بس انتو كده ظلمتوا دعاء وأسامة

ــ ياريت تسمعني للأخر ، وبعدين أنصب محكمتك ، وشوف مين الظالم ومين المظلوم

ــ ما تقوليش انه رجع يراسلك تاني ، وخصوصا بعد ما عرف انك اتجوزتي وهو كمان أتجوز

ــ مكنش يعرف إني أتجوزت ؟

ــ ماشي .. بس هو أتجوز .. رجع لك ليه تاني ؟

ذات مساء بينما كنت أجلس في غرفتي القديمة ببيت أبي ، أدس عيوني في كتاب عن إستراتيجية العلاقات الخارجية ، بينما النعاس يحتل جفوني ، حتى أيقظني صوت رسالة الوات ساب المعتادة ، ألقيت بعيوني باتجاه شاشة الهاتف الكبيرة ، توقعت أن تكون من أسامة أو من والدي ، لكنني صدمت حينما رأيت رقم هاتف عمر ، تملكتني حالة من الارتباك ، عقلي يطالبني أن أغلق الهاتف ، وقلبي يجبرني أن أفتح الرسالة وأقرأ ما بداخلها ، لكن دوما لا صوت يعلو فوق صوت قلبي الذي يعشقه بلا مبرر ، غلبني شوقي لمعرفة أخباره ، واشتاق قلبي إلى حواره الجميل ، وكلامه المعسول رغم انغماسه بالكذب ، لكنني اشتاق إليه

ــ أزيك يا أميرة .. ؟

لم أشعر إلا وأنا أرد على رسالته

ـ تمام الحمد لله

ـ أخبارك إيه ؟

ـ أنا أخباري كتيرة .. عندك وقت تسمعني؟.. بس قولي الأول بقت أب ولا لسه ؟

ـ ليلى جايه في الطريق .. بس قدامها شويه

ـ ما شاء الله .. تيجي بالسلامة

ـ طمنيني إنتي عليكي

ـ أنا أتزوجت ومنتظرة مولود جميل

ـ مبروك .. أناديك بأم إيه ؟

ـ لسه محتارة بين حمزة ومالك

ـ الاسمين حلوين .. تقومي بالسلامة

ـ ربنا يخليك .. وأخبار دعاء إيه ؟

ـ تمام الحمد لله

ـ أزاي سايباك ماسك فونك وبتكلمني كمان ؟

بتكلم أختها كالعادة ..كل ليلة بالساعات وبتنسى نفسها ..قولت أكلمك وأطمن عليكي طالما انتي ما بتساليش ، وبصراحة كلامك وحشني ، ما إنتي عارفه انك الوحيدة اللي بارتاح في الكلام والفضفضة معاها

ـ معقولة لسه مكاني هو مكاني!

ـ ما أنتي عارفه إن مفيش صديق يقدر يأخذ مكانك عندي

كلماته الجميلة نزلت على صدري ، كنسمة باردة في يوم شديد الحرارة ، وشعرت بأن نار حبه ، بدأت تتحرك من جديد ، تحت رماد عشقي ،الذي برد منذ أخر محادثة بيننا ، ورغم كل تلك المشاعر ، وكلماته التي لها مفعول السحر على قلبي ، ألا إنني توخيت الحذر، وسرت بركاب عقلي الذي أمرني أن أضع العلاقة بين قوسين (أتنين أصدقاء بيطمنوا على بعض ليس أكثر)

ـ أنا سعيدة جدا بسؤالك يا عمر ، وما تنسنيش أوى كده ، وكل فترة حاول تطمن عليا، وأنا كمان اطمن عليك ... تصبح على خير

ـ وأنتي من أهل الخير يا ملاكي الجميلة

لم أنم طوال الليل ، فتحت حافظة الذكريات الممتلئة عن أخرها بالأشواق ، لم أترك رسالة إلا وأخذت منها ما برد نار شوقي ، رغم شعوري بأن كلماته تخفي خلفها حزن عميق ، كم كنت أتمني أن يستمر الحوار لساعات ، لأعرف أخر تطورات العلاقة بينه وبين دعاء ، هل دعاء هي سبب حزنه المتخفي خلف كلماته ، أم أن خبر زواجي ، جرحه كما جرحني خبر زواجه من قبل

ـ نقدر نسمي ده حب ، ولا كيد نسا

ـ كيد محب

ـ كلمك تاني إمتى ؟

ـ بعدها بيومين بعتليى رسالة يطمن على أخباري

رغم سعادتي بتلك الرسالة ، لكنني اندهشت كثيرا، لم أكن أتوقع أن يعاود إرسال رسائل أخري بهذه السرعة ، لقد تزوج كلُ منا ، فكان من الواجب أن تكون المسافة أطول بين الرسالتين ، مما أكد لي أن هناك شيئا يأرق عليه حياته .. وازداد فضولي أن أعرفه

ـ أخبارك إيه ؟ وأخبار الولد الشقي إيه ؟

ـ لسه نايم ، بدري أوى انه يتحرك ، وأخبار ليلى إيه

ـ لا ليلي اتحركت ورفست واتشقلبت كمان

ـ ما شاء الله

ـ تعرفي يا أميرة انك وحشاني أوى

ـ ما تشوفش وحش يا أخويا

ـ لا بجد .. أنتي ملاك .. مختلفة عن كل البنات ، عقلك كبير وقلبك أكبر ، طيبة ومتسامحة ، قلبك نقي وصافي إنتي كنيرة على أي إنسان ، علشان كده ربنا استكترك عليا ، وحرمني منك

ـ مالك يا عمر ؟

ـ مفيش يا روح وعقل وقلب عمر

ـ دعاء فين يا عمر .. أنا حاسه إن في حاجة ؟

ـ أنا طلقت دعاء ...

ـ بطل كلام فارغ وأتكلم بجد

ـ وحياتك عندي طلقتها ، ودي تاني طلقة كمان .

لم أصدق كلماته تلك .. لقد تعودت على كذبه وزيفه ، مستحيل أن يطلقها مرتين بعد ثماني أشهر زواج ، ظننت أنه يريد أن يرى رد فعلي ، أو أن كلماته تلك سوف تدخل السرور على قلبي .

ـ لا أنت أكيد بتهزر ، أوع تفكر إن ده شيء يسعدني .. أبدا طبعا ، أتكلم جد لو سمحت .. هي أكيد عند مامتك تحت ، وأنت استغليت الفرصة وكلمتني ..صح كده ؟

ـ اهدي يا أميرة .. أنا استحالة أفكر كده ولو للحظة ، أنا عارف انك ملاك ومستحيل تفرحي في خراب حياتي ، أو تشمتي في دعاء . لكن أقسم لك دي الحقيقة ، أنا طلقت دعاء من أسبوع ، ودي تاني طلقة .

تملكني شعور بالدهشة والذهول ، كنت أتوقع أن تستمر خلافات ما قبل الزواج ، لكن لا تصل إلى هذه الدرجة وبهذه السرعة .

ـ وإيه الأسباب اللي عصفت بالحب الكبير ده ؟

ـ إنتي بتتريقى ، ولا شمتانه فيا ؟

ـ أنت غيرت رأيك فيا بسرعة كده ليه ؟

ـ أنا عمري ما غيرت رأيي فيكي أبدا ، بل بالعكس كل كلامي عنك أتاكد ليا ، وانه مكنش مجاملة ، إنتي فعلا ملاك

ـ سيبك من كلامك ده واحكي لي حكايتك المنيلة دي

ـ بعشق قلبك الطيب الحنين ده يا ملاكي

ـ يا بني احكي واخلص ، ما توجعش قلبي .

ـ والله إنتي فعلا ابتسامتي اللي بتقدر تطلعني من مودي السيئ وتخليني أبتسم ..

ـ شكلك مش عايز تحكي ، بقى ليك قلب تاني يسمعك وتفضفض معاه وتشكيله همك غيري

ـ مكنتش كلمتك تاني يا مجنونة .. حاضر هأحكي يا ملاكي

ـ لا كده كتير ، أنا قربت أرفرف وأطير كمان

ـ إنتي عارفه إني أتجوزت في شهر تمانية ، وفي أخر شهر تسعة أو في نصه ، بدأت المشاكل والخلافات بينا ، وكنت بتجاهل أفعالها وردودها المستفزة ، وأقول بلاش صوتنا يعلى إحنا لسه عرسان ، لكن هي كانت بتسوق فيها ، وبتكرر كل فعل بتدايقني ، وكأنها كانت متعمدة تخلق الخلافات بينا

ـ كنت التمس لها العذر يمكن كانت نفسيتها تعبانه بسبب بعدها عن أهلها ، لسه حاسه بالغربة وأنت في وسط أهلك

ـ والله انك فعلا ملاك

ـ وبعدين معاك ، هترجع للتريقة والهزار

ـ أبدا والله ، بس العذر اللي إنتي خلقتيه ليها ، بيدل على رقة قلبك وإنسانيتك .

ـ المهم إيه سبب المشاكل دي كلها ، وليه وصلت للدرجة دي ، كل مشكلة وليها حل

ـ صدقيني يا أميرة ، حالة دعاء ملهاش علاج غير الطلاق

ـ أنا مش معاك طبعا في الكلام ده

ـ خلاص انسي وقفلي على السيرة دي ، وطمنيني عليكي ، إيه أخبارك مع أسامة ، مفيش خلافات ولا مشاكل ؟

ـ لا تمام الحمد لله ، وليه الخلافات والمشاكل ، هي أجازته قد إيه علشان نتخانق فيها .

ـ وكمان أسامة ، هادي جدا وما بيحبش المشاكل زيي .

عاود دكتور سامح ابتسامته المعهودة ، التي تنم عن عدم رضاه عن تصرفاتها غير المسئولة ، وأنها إن دلت إنما تدل على سذاجتها ، وبادرها بالسؤال

ـ وهل الحوارات دي استمرت كتير بينكم ؟

ـ فاهمه قصدك طبعا

أعاد الكلام بيننا ، ذلك الحب الراقد في قلبي ، الذي أدخله عقلي إليه بجداره ، أيقظه قلبه المجنون المتيم به ، لقد استيقظ مع أول كلمة حب قالها لي من جديد

ـ مممم

ـ مستغرب ليه ، أيوه بحبه ، هو غرامي وحبي الأول .

ـ أنا مستغرب أزاي وصلتي لمرحلة الغرام في الحب ، مع إني شايف انه لحد دلوقت ما حبكيش .

ـ رجوعه تاني صحى مشاعري القديمة ، رجوعه يهتم بيا ويسأل عني ، ورجـــع القلـــب الطيب الحنين اللي برتاح معاه

ـ وأنتي شايفه إن ده هو الحب ؟ وكان فين أسامة من كل الأحداث المثيرة دي ؟

ـ غيابه عشرين يوم في الشهر ، فكرني بعلاقتي مع والدي ، اللي كان دايما بعيد ومسافر ، وخوف أمي عليا وحصارها ليا ، جعلوني أهرب من وحدتي وفراغـــي العـــاطفي إلـــى حضن عمر واهتمامه بيا .

ـ يعني كان مفروض إن زوجك يترك عمله ويقعد جنبك ، المفروض انك كبرتي ونضجتي وقربتي تكوني أم كمان

ـ بس كنت محتاجه أشبع مشاعري معاه طول الشهر، زي أي زوجة مع زوجها ، مـــش عشرة أيام ، وباقي الشهر سؤال عن أخباري بالتليفون .

ـ يعني أسامة هو السبب ؟

ـ لا طبعا مقدرش أقول كده ،أسامة إنسان عظيم ،المشكلة كانت فيا أنا ، وتستغرب إن ظهور عمر تاني في حياتي كان من مصلحة أسامة

نظر دكتور سامح باستغراب شديد ، وأميرة تمد يدها لتغلق زر التسجيل ، وتهبط بسرعة من فوق الشيزلونج ، وتخرج من الغرفة ، لتترك دكتور سامح يشتعل بنيران الفضول حتى الزيارة القادمة .

ـ ٥ ـ

ضغط دكتور سامح على زر التسجيل ، وهو متلهف لسماع كيف أن ظهور عمر في حياتها كان من مصلحة أسامة .

عدنا نتحدث يوميا كما كنا من ذي قبل ، عاد عمر يفتح أبواب قلبه ليروي بالتفصيل أسباب خلافه مع دعاء ، وكنت أتناقش معه في تلك الأسباب والتي اكتشفت من خلالها ، عوالم خفية في شخصية عمر ، لم أستطع اكتشافها خلال فترة صداقتنا الأولى ، والتي كنا فيها عاشقين ، كان يحكي مواقف حدثت بينه وبين دعاء ، حدثت بيني وبين أسامة ، ولكن رد فعل أسامة كان مختلف جدا ، مما جعلني أضع الاثنين في مقارنة حقيقية ، أضعهما على ميزان العقل والقلب معا .

ـ زي إيه المواقف دي ؟

ـ حكى لي ذات مرة ، حينما كان نائما بجوار دعاء ، وسمعها تهزي بحوار رومانسي بينها وبين شخص أخر ، وكان صوتها عال ، لم يمهلها حتى تستيقظ ، أو اعتبر أن كل هذا أضغاث أحلام ، لكنه صفعها على وجهها ، مما جعلها تستيقظ مفزوعة ، وظل يضربها بيده ويسبها بأحط الشتائم ، لدرجة جعلت والده يصعد على صوت صراخها ، ويخلصها من يديه بصعوبة.

ذكرني ذلك بموقف شبيه حدث لي ، حينما كنت أتناول طعام الإفطار بجوار أسامة ، والذي ما انتهيت من إفطاري حتى بادرني بابتسامته الجميلة

ـ هو القمر كان بيحلم بمين أمبارح ، وكان بيحب فيه أووي بكلمات غزل ، يا حبيبي .. يا عمري .. يا قلبي .. بعشقك ، انتظرتك تخلصي غزل وتقولي في الأخر أسامة .. مقولتيش ، قلت أكيد الغزل الجامد ده في الولد الشقي اللي لسه ملوش اسم ده ،علشان كده ما قولتيش اسمه

ثم قام ومسح بيده على شعري وطبع قبلة على جبهتي ، نظر إلي وأنا ابتلع ريقي بصعوبة ،وأنا انظر إليه بخجل من ذوقه وحنيته المفرطة ، ثم انصرف إلى غرفته ، لكنه تركني في حيرة من أمري ، وظللت طوال اليوم أفكر ، ماذا قلت غير كلمات الغزل تلك ، التي كانت ولا شك لحبيبي عمر .

حينما هل الليل وأوينا إلى غرفتنا ، ظللت طوال الليل مستيقظة بجوار أسامة، لـم أستطع النوم من التفكير والخوف ، أن أعاود الكلام أثناء نومي ، و أهزي بكلمات الغزل والعشق ،أن يتطور الحوار فاذكر اسم عمر ، وأن لم أكن قلته دون أن أدري ، لكنه أنكر أو تجاهل الأمر برمته

اقترب الفجر وأنا أقاوم النعاس ، وبينما أسامة يتقلب في فراشه ، حتى التفت نحوي فوجدني ما زالت مستيقظة ، يسيطر الخوف على وجهي ، فمد يده وجذبني من ذراعي وضمني إلى صدره وقبلني قبلة طويلة شعرت ساعتها بالأمان ، كأم تحتضن طفلها لكي يطمئن وينام ، وذلك بعدما همس في أذني

ـ نامي واحلمي براحتك ، مش أنا الراجل اللي يحاسب مراته على حلم .

موقف أخر تكرر ، وأظهر لي مدي التفاوت النفسي ، في شخصية عمر حينما كنا نتحادث عبر الوات ساب ذات مساء

ـ هو فين أسامة ؟

ـ في غرفه المكتب بيخلص شغل

ـ طيب خلي بالك ليدخل عليكي وأنتي مش وأخده بالك ، أنا مش عايز أسبب لك مشاكل يا عمري

ـ لو دخلت على دعاء وهي بتكلم رجل غريب كنت هتعمل إيه ؟

ابتسم ابتسامة عريضة ورد بكل ثقة

ـ هخلي الدكاترة يحتاروا يلموا عضمها ، ويصلحوا وشها أزاي

كان يفتخر بقسوته وجبروته ، ولم يكن يدري أن ملامح شخصيته التي تكشفت لي أخيرا ، وردوده القاسية ، كانت خناجر سامة ، تُغرس في الجسد الجميل ، الذي كان يسمى حب ، ورغم اختلافي أو كراهيتي لدعاء ، ألا أنني بدأت أتعاطف معها .

شعر دكتور سامح بسعادة بالغة ، وكأنه قد وصل بأميرة لمرحلة الخروج من هذه الأزمة النفسية المسماة بالحب الأول .. لكنه كان يريد أأن يطمئن بسؤاله الذي لم تكن تتوقعه أبدا

ـ لو عمر طلب منك الانفصال عن أسامة ،وتتجوزوا ، إيه يكون ردك ؟

ـ مستحيل طبعا أنفصل عن أسامة

ـ افهم من كده انك عايزة الزوج والحبيب في نفس الوقت؟

ـ لا طبعا ،أنا مش كده إطلاقا .. أنت فهمت غلط يا دكتور

ـ يبقه القرار في أيديك أنتي ، وأنتي اللي لازم تأخذي الخطوة القادمة ، ما فكـرتيش يـا أميرة .. عمر عايز منك إيه ؟

ـ هيكون عايز مني إيه يعني ؟ على مدار سنوات الحب دي كلها ، تصدقني لو قولت لك ، إن عمر ما طلبش انه يشوفني شخصيا ، وكل اللي بينا انه شاف صورتي وتكلمنـا شـات وصوت وبس

ـ ده لأنه بعيد عنك ، زي ما إنتي حكيتي انه شغال في السعودية

ـ حتى بعد ما أنهى عمله في السعودية ورجع واستقر في مصر ، كان بينزل القاهرة كتير ، لكن ولا مره طلب انه يقابلني شخصيا .

ـ وده تفسريه بأيه ؟

ـ بصراحة مش لاقيه له تفسير ، مع انه كان دايما يسألني ، لو أتقابلنـا وجهـا لوجـه هتعملي إيه ؟ كنت بضحك وأقوله ، لما نتقابل هتعرف ، ومع ذلك ما طلبش يقـابلني أبـدا وكأن في شيء بيمنعه ؟.

تركت أميرة دكتور سامح وسرحت في عمر ، وحوار دار فيما بينهما

ـ عمر .. عايزاك تفكر في دعاء والصلح بينكم

ـ لا يا حبي .. أنا كده عايش ملك ، لا ست تنكد عليا ، ولا خناق ولا تلكك على مشاكل .

ـ بس كده حرام .. تتجوز ثمان شهور ، وتحمل لقب مطلقة ، وطفلة كمان .. ده ظلم ليها

ـ لو في ظلم يبقه أنتي اللي ظلمتيها ، وفسدتي عليها حياتها ، وتعبتي نفسيتها ..

ـ أنا بجد .. إيه اللي بتقوله ده .. أنت مصدق نفسك ؟

ـ أيوه طبعا مصدق نفسي ، في الفترة اللي انفصلت فيها عن دعاء ، وارتبطت بيكـي .. أقسم بالله حبيتك حب ، ربنا اللي يعلم بيه ، ونسيت دعاء واللي قبلها ، واتولـدت معـاكي من جديد ، وكنت ناوي أتجوزك لما كنت فكرك بنت ناس عاديين مسـتورين زي أهلـي ، ولما طلبت منك تعرفيني بأهلك ، اتفاجئت بالمدرعات والمصفحات وأمن الدولـة والرتـب والنياشين ، عالم بعيد كل البعد عن عالمي ، وفوقت من حلمنا الجميل ، وأمنت بـان ابـن الجناينى ، مستحيل يتجوز بنت الباشا ، في نفس الوقت كانت دعاء بتحاول تصلح علاقتنـا ببعض ، رجعت لها واعترفت لها بكل شيء ، حتى بحبي وجنوني بيكي ، لكن أنتي نجمـة

في السماء ، كل اللي أملكه إني أقعد في البلكونة ، وأرفع راسي وأبص عليها وأتمناها وبس ، لكن أطلعلها وألمسها مستحيل ، أيوه أنا اللي بعت لها أيميلك وطلبت منها تقولك ابعدي عن عمر علشان تكرهيني ، لكن لقيتك انسحبتي بهدوء زي الملائكة ، رغم حبك ليا ، اللي أنا متأكد منه ، وده كله زاد من حبي وعشقي ليكي ، لكن ما باليد حيلة ، وكانت دعاء كريمة جدا معايا ، وافقت تكون الحقنة المخدرة اللي تنسيني بيها وجع حبك ، وعملت اللي عليها وأكتر ، بس ده كان في فترة الارتباط غير الرسمي ، وطول ما هي عارفه انك بغير ارتباط أو خطوبة ، لكن بعد خطوبتنا أتغيرت ، وكأنها خلاص فازت بالفريسة وانتصرت على منافستها الوحيدة ، تحولت للنقيض ، أصبحت مع كل نقاش عايزة تهرب منه ، تدخلك في الموضوع ، عرفت بقى أزاي انك ظالمة ، ظالمه لكل بنت تقارن بيكي لانك ملاك .

ــ بلاش خداع يا عمر ، أنا كنت ضحية ليك ، أنت محبتنيش من الأول ، أنت كنت عايز تستخدمني سيف على رقبة دعاء ، علشان تخضع ليك ، وتغير من شخصيتها القوية ، وتحولها للست اللي أنت بتحلم بيها ، واللي كانت كل مواصفاتها فيا ، لكن الظروف فرقت بينا ، وحبيت تنسخ دعاء نسخة مني ، لكن ده مستحيل ، وفي نفس الوقت ، دعاء استغلتني ، واستغلت حبك ليا ، كنقطة ضعف ليك ، علشان تخضعك ليها ، وتعترف انك ملكش غيرها ، دى كانت حرب بينكم .. أنت دخلتني فيها بدون وعي مني ، أنت لعبت بالنار يا عمر ، وحرقت نفسك في الأول ، وبعدين عايز تحرق الجميع بنفس النار دي

ــ لا يا أميرة ، أنا ما أقدرش أضرك ، والله حاولت كتير أبعد عنك وأنساكي ، لكن مكنتش بقدر ، وأرجع أكلمك ، وأدعي ربنا انك ما ترديش ، لكن لما ما كنتيش بتردي كنت بتجنن ، وأحاول مرة واتنين وتلاتة ، لحد ما قلبك الطيب يحن ، وتردي عليا ، لأنك القلب الوحيد اللي بيحس بيا دايما .. عمري ما خاب ظني فيكي ..

ــ لكن كده ما ينفعش يا عمر ، إحنا كده بنموت بعض بالبطيء ، أنا الشبح اللي بينك وبين دعاء ، فسدت علاقتكم زي ما أنت بتقول ، وأنت شبح بيني وبين أسامة ، هتفسد علاقتنا في يوم من الأيام .. لكن أسامة ملوش ذنب ولا يستحق مني أي جرح ولو بسيط ، لأنه إنسان قلبه كبير ، قدر ظروفي وعرف جرحي من الأول ، وساعدني إني أفوق من وهمك ، وعمره ما استغله كنقطة ضعف ليا ، خلاني أشوف نفسي صغيرة أووي قدامه .

لم تستيقظ أميرة إلا على صوت دكتور سامح ، يستدعيها من ذلك الحوار الـذي كشـف العلاقة المزيفة . تعجب جدا وأميرة تفتح هاتفها النقال وترفع غطاءه ، وتنزع البطارية ثم الشريحة، وتنظر إليها وتبتسم وهى تخاطبها

ـ هنا كانت سعادتي ، عشت من خلالها أيام جميلة ، وقصة حب لن أنسـاها ، بحلاوتهـا ومرارتها ، ولكن جاء الوقت لإنهاء هذه القصة ، لأنه ببساطة هناك شخص ، ليس له ذنب في تلك الحكاية . غير انه إنسان بمعني الكلمة ، ولا يستحق إلا كل حب واحتـرام ، فمـن أجله سأضع بيدي نهاية هذه القصة .

ـ تقصدي أسامة طبعا

ـ أسامة علمني يعني إيه حب ، وان الحب مش كلام حلو وبس ، ولكنه أفعال حلوة ، وده اللي حسيته مع أسامة ، وقف جنبي وصبر عليا بكل احترام وتقدير ، على عكـس عمـر بتصرفاته مع دعاء ، واللي ما احترمش كونها زوجة عايشه مع راجل بجسـمه ، وقلبـه وعقله مع غيرها ، وهي كمان ما قدرتش ظروفه ولا حاولت تخفف عنه .

في نهاية الجلسة ، لم تجد أميرة إلا أن تشكر دكتور سامح

ـ أنا سعيدة جدا ، بحواري مع حضرتك ، واللي ساعدني في أخد قـراري علـى إنهـاء المهزلة دي ، والرجوع لحياتي الجميلة ، مع زوجي أسامة ، ومولودنا المنتظر حمـزة ، علشان نعلمه يعني إيه حب .

ـ وأنا سعيد جدا . بيكي وبقرارك الحكيم ده ، وأنتي فعلا ملاك بقلب كبير وعقـل أكبـر ، و ياريت تسيبي رقم شريحتك الجديدة ...علشان أطمئن عليكي.. ده لو مش هيضايقك طبعا أمسكت بالقلم وكتبت رقم هاتفها الجديد ، ثم استأذنت بالانصراف ، فأسامة علـى وشـك العودة إلى البيت في أجازته الشهرية ، والتي تريد أن تكون أروع أجـازه قضـتها فـي حياتها ، بعدما رفعت عن كاهلها ذلك الجبل الثقيل الذي يسمي الحب الأول .

الفصل الثالث

ـ ١ ـ

كانت الساعة تقترب من الحادية عشر والنصف مساء ، حينما كان دكتور سامح لا يزال في عيادته يستقبل مرضاه ، كان يشعر بالتعب والإرهاق ، من كم المرضى الذين زاروه الليلة ، فالمرضى النفسيين في تزايد مستمر ، الضغط العصبي والنفسي يمارس دوره بشراسة ، لقد استشرى كالطاعون بين جميع فئات المجتمع ، فالمرض النفسي ليس حكرا على طبقة بعينها .

فرد رجليه وذراعيه في الهواء ، فسقطت عيناه على تلك اللوحة المعلقة على الحائط ، ناطحات السحاب بالولايات المتحدة الأمريكية ، حلمه الذي لا زال يراوده ، تلك التأشيرة التي يحلم بالحصول عليها ، كم تمنى أن يحصل على(الجرين كارد) ، تقدم أكثر من مرة ، لكن الطلب يتم رفضه ، كان يمني نفسه بالهجرة إلى الولايات المتحدة ، أن يجد عملا في أحد المستشفيات النفسية هناك ، لكن قطع سيل أفكاره ، فتح سلوى السكرتيرة لباب غرفته . فبادرها بالسؤال

ـ في حد تاني لسه ما دخلش ؟

ـ في واحد بس ، منتظر من بدري ، وباعت الكارت بتاعه

تناول منها الكارت ، ونظر إليه ولمح الاسم (أسامة الشريف) ، سرح في الاسم ، انه ذلك الضابط الذي حضر منذ عدة أشهر ، وطلب مني أن أعالج زوجته ، والتي على علاقة مع أحد الشباب عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، أميرة فؤاد شهاب

لقد استطعت أن أعالجها بالفعل ، وأنهت علاقتها بذلك الشاب ، لكن لماذا يريد أن يقابلني ، يا لذاكرتي المتهالكة ، لقد كان هناك بيننا شبه اتفاق ، لكن لا.. لن أبوح بأسرار مريضتي ، يكفي أنني استطعت علاجها ، لا يهمه تلك التفاصيل ، العلاقة كانت سطحية إلى أبعد الحدود ، مجرد تعلق ، حوارات شات ، مكالمات هاتفية ، لقد كان غياب والدها ، ثم غياب زوجها السبب في كل هذا ، .. لكنه أفاق على صوت سلوى الناعم المفعم بالإغراء

ـ دكتور .. دكتور .. أدخله

ـ أه دخليه و أتفضلي أنتي ممكن تروحي .. أسف أخرتك الليلة

ـ ولا يهمك يا دكتور أنا تحت أمرك .. تحب أنتظر لما يمشي ونقفل العيادة سوا ..

سرح في كلامها ، الذي حاولت أن تضيف عليه ، حالة من الإغراء ، لكنه ابتلع ريقه ، ثم عاود النظر إلى جيبتها القصيرة وأردف

ـ لا أتفضلي أنتي .. دخليه وروحي .. الوقت أتأخر ..

خرجت بعدما نظرت إليه في غضب ، وأغلقت الباب خلفها ، وما أن خرجت حتى دخل أسامة بطوله الفارع ، وابتسامته العريضة ، سلم على دكتور سامح بحرارة ، وجلس أمامه .

ـ أخبار مدام أميرة إيه ؟

ـ تمام .. على فكرة أنت دكتور شاطر جدا .. وأنا بشكرك على المجهود اللي بذلته معها .

ـ لا شكر على واجب .. ده شغلي ..

نظر أسامة إلى سامح ، محاولا فتح موضوع مضى عليه شهور، ظن أسامة بأنه قد نسيه

ـ أظن .. كان في بينا اتفاق ..

ـ إحنا اتفقنا إني أعالج مدام أميرة ، وأظن ده حصل ..

أخرج أسامة من جيبه ، جواز سفر دكتور سامح ، وبداخله تذكرة سفر إلى الولايات المتحدة ، ووضعها على المكتب أمام دكتور سامح ، والذي ما أن رآها حتى لمعت عيناه ، وابتلع ريقه ، وتجمدت مفاصله ، وكاد أن يطير من فرط السعادة .

ـ أظن أنا كده وفيت بوعدي ..

عاد دكتور سامح أدراجه ، وحاول أن يتملص من الوعد ، لكن عيناه لا تزال تلمع ، من تلك التذكرة التي ستغير مجرى حياته

ـ صعب أن الطبيب النفسي يفشي أسرار مرضاه ، ثم إن الموضوع انتهى ،حاول ما تشغل بالك بالماضي ، أميرة بتحبك وموضوع عمر ده انتهي وأنت بنفسك لسه قايل ده!

ابتسم أسامة ابتسامة صفراء تنم عن عدم الرضا

ـ أسوء حاجة إن الإنسان يغير اتفاقه .. الظاهر أنت مش عايز تهاجر .. وأنا كمان بالغي اتفاقي ..

سحب أسامة تذكرة السفر من أمامه ،وهم واقفا ، لكن سامح ارتبك ، وشعر أن روحه تصعد ، فقام مفزوعا ، ومد يده وخطف التذكرة من يد أسامة ، وأشار إليه بالجلوس

ــ هات التذكرة دي .. وأتفضل أقعد .. أنت وقفت ليه .... هو أنا صغير أرجع في اتفاقي .

ابتسم أسامة ابتسامة المنتصر ، وترك له تذكرة السفر ، ثم مد يده في جيبه ، وأخرج بطاقة ذاكرة رقمية (فلاشا) ، وطلب منه أن ينقل عليها ، كل تسجيلات المكاشفة التي قامت بها أميرة ، أخذها منه دكتور سامح ووضعها في جهاز(اللاب توب) الذي أمامه وبدأ في نقل الملفات الصوتية إلى البطاقة .. عاود أسامة الحوار مع دكتور سامح

ــ أنت ناوي على إيه بعد ما تسافر

ــ ليا صديق في ولاية تكساس أنزل عنده .. وأبدأ أدور على أي شغل هناك

ــ تدور على شغل ! حد يسيب عيادة شغالة كده ..ويسافر أمريكا يدور على شغل وفي الأخر هيغسل صحون

ــ أتمنى ألاقي شغل في أي مستشفى من مستشفيات العلاج النفسي هناك ، بس ده صعب

ــ طيب لو قولت لك إني وفرت لك فرصة عمل في مستشفي جونز هوبكنز في مدينة بالتيمور بولاية ميريلاند الأمريكية هتعمل إيه ؟

ــ هكون ممنون جدا طبعا.. وجميلك ده هيكون على راسي

ــ لا هتبعت لي على نفس الفلاشا .. ملف عمر عبد الرحمن منصور المحامي

اندهش دكتور سامح ونظر إليه بريبة ، من هذا الشخص الذي يعرف كل شيء عني ، أسماء المرضى ورغبتي في الهجرة .

ــ هو ليه حضرتك اخترتني أنا بالذات علشان أعالج مراتك

ضحك أسامة ضحكة تنم عن سخريته ، من ذلك الطبيب الذي يدعي أنه طبيب نفسي ، وغير قادر على فهم الشخصية التي أمامه ، غير قادر على ربط الأحداث ، بعضها ببعض والتوصل بسهولة إلى أغراض الأشخاص الذين أمامه .

ــ أنا قولت لك قبل كده إني أخذت رقم فون عمر من تليفون أميرة ، لكن ما قولتلكش إني بعد ما دونت نمرته.. اتصلت بصديق ليا في شركة اتصالات وعرفت منه بعض التفاصيل عنه ، ولما بدأت أسأل عنه عرفت بالصدفة انه بيجي القاهرة مرة كل أسبوع ، اعتقدت انه بيجي يقابل أميرة ، لكني لما كلفت شخص يراقبه ، اكتشفت انه بيجي عيادتك يتعالج نفسيا ، بسبب مشاكله مع مراته .. وساعتها خطر ببالي إني أبعت أميرة تتعالج عندك ، بس ما حاولتش أظهر في الصورة ، طلبت من مامتها إنها تقنعها تيجي هنا ..

ــ آه وكده تبقى ضربت عصفورين بحجر ، تعالج أميرة وتطلع على خبايا العلاقة من الطرفين .. أنت لسه بتشك في مراتك ؟

ــ من حقي إني أعرف حدود العلاقة اللي كانت بينهم ، والولد اللي جاي ده ابني ولا ...

ــ أنت كده بتتعب نفسك .. تصدقني لو قولت لك إن أميرة طفلة بريئة ، وان علاقتها بعمر كانت لعب عيال مش أكتر .. وإنها أنهت العلاقة بالفعل .. وان عمر وأميرة عمرهم ما أتقابلوا إلا في الخيال ..

ــ أنا بقه عايز أتأكد .. إيه المشكلة في كده ؟

ــ بس دي أسرار المرضى وأنا كده أخالف واجب المهنة

ــ أنت متعرفش إن مستشفي جونز هوبكنز دي من أكبر مستشفيات الولايات المتحدة ، واني بذلت مجهود جبار علشان أوفر لك فرصة عمل هناك ، وده بفضل والد أميرة فؤاد بك شهاب اللي كان شغال في السفارة المصرية هناك ، بس خلاص بقه مفيش نصيب ، خليك في غسيل الصحون ... لحد ما تنسى العلم اللي درسته ،وكمان تنسى طموحك ومستقبلك العلمي اللي منتظرك هناك .

نفخ سامح في الهواء وشرع يفكر في عرض أسامة ، الذي لا يمكن رفضه بأي حال من الأحوال ، ماذا سيخسر لو أفشى أسرار مرضاه ، أنهم مجموعة من الحمقى والضعفاء الذين فشلوا في التعامل مع الآخرين فسقطوا في مستنقع الجنون ، شرع يحملق في السقف ، يتأمل ناطحات السحاب ، يعبث في جواز سفره ، وتذكرة السفر التي تتدلى منه ، كفتاة ليل غاية في الإغراء تقف في شرفة غرفتها تناديه أن يصعد إليها ، كانت كل التسجيلات الخاصة بأميرة قد انتقلت إلى البطاقة ، تردد قليلا في نزع البطاقة ، وفجأة فتحت سلوى السكرتيرة باب الغرفة وأطلت عليهما ــ يا دكتور الساعة وصلت ١٢ مش كفاية كده

نظر إليها دكتور سامح في دهشة ــ أنتي لسه موجودة .. مش قولت لك امشي ..

ــ لا أنتظرك .. بس اخلص ولا هنبات في العيادة ؟

أغلقت باب الغرفة في عنف ، وسامح يعاود التطلع إلى ملف عمر، الجالس على شاشة (اللاب توب) أمامه ، تردد قليلا ثم نظر إلى أسامة ،الذي ابتسم في وجهه ، فضغط دكتور سامح على الملف كليك يمين ، وضغط إرسال إلى ، واختار البطاقة ، فسار الملف يهرول ليقبع بجوار ملف أميرة في البطاقة .

ـ٢ـ

جلس الجميع على مائدة الغداء ، يتبادل أميرة وأسامة الابتسامات، يتأمل تلك البطن المرتفعة التي تحوي قرة عينه في فرحة بالغة ، لقد وصلت أميرة إلى الشهر التاسع ، ولم يتبقى سوى أيام قليلة ، حتى يخرج ابنه إلى النور ، يبادلهم الأب النظرات ، في حين يغمز إلى الأم ،والتي تبادر أميرة بالكلام

ـ مين هيروح معاكي لدكتور عصام الليلة يا ميرو ؟

ـ أنتي طبعا يا ست ماما وهو أنا ليا غيرك

ـ طيب ما يروح أسامة علشان يطمن على حمزة، أنا هخرج الليلة مع فؤاد هنتعشى بره

رد أسامة في تودد

ـ والله يا طنط أنا هخلص غدا وأطلع على المعسكر ، وأنا كنت معاها من كام يوم والدكتور طمنا والحمد لله

ينظر والدها إلى أمها وبلهجة عتاب

ـ مش لازم النهارده يا فريدة .. أنتي ما زهقتيش فسح

ـ حد زيك يا ست ماما من دور السينما والمسرح للأوبرا لساقية الصاوي ..لازم يا سي بابا تعوض أيام غيابك

ـ طيب ما أسامة بيغيب .. ولما بيرجع بتاخديه وتطيري على شقتك وتنسى ماما ، بزعل

ـ أسامة ده الحب كله يا ست ماما .. سافر أنت يا أسامة وأنا هروح أنا وبابا .. وبعدها نخرج نتعشى سوا ونسيب ماما هنا لوحدها كفاية عليها فسح كده

يضحك الجميع وأسامة يمسح يده ويهم واقفا

ـ أستأذن أنا بقه يا دوب أوصل المعسكر قبل المغرب .. ابقي طمنيني عليكي يا روحي .. بعد ما ترجعي

ـ وأنت طمني أول ما توصل المعسكر ..

يضحك الجميع والأب يردد

ـ يا سيدي يا سيدي على الحب

تضحك الأم

ـ لا دول كمان بيقروا علينا يا فؤاد

ـ ٣ ـ

كانت أميرة في غرفتها ، تقوم ببعض التمرينات التي نصحها بها دكتور عصام ، تستمع إلى بعض الموسيقى الهادئة ، تنظر في تلك الساعة المعلقة على الحائط والتي تعلن اقترابها من السادسة مساء ، حتى رن هاتفها النقال ، يبدو انه أسامة قد وصل إلى المعسكر ، ويريد أن يطمئنها ، هرعت نحوه لكنه لمحت الاسم دكتور سامح عياد ، اندهشت من تلك المكالمة التي لا تتوقعها ، لقد مضى أكثر من شهر على أخر جلسة ، وأنهت كورس العلاج ، قبلت المحادثة

ـ أهلا دكتور سامح .. أزى حضرتك .. أنا بخير .. الحمد لله .. آه في الشهر التاسع .. يعني على وصول .. أجي لحضرتك ..ليه خير في حاجة ... حاجة مهمة ... أجي وحدي .... كمان ما أقولش لحد إني هاجيلك .. أنت كده قلقتني.. حاضر .. حاضر .

ـ ٤ ـ

ما أن وصلت أميرة إلى عيادة دكتور سامح ، خطت بقدمها عدة خطوات داخل العيادة ، حتى تراجعت تلك الخطوات مرة أخرى ، العيادة خاوية على عروشها ، اللوحات التي كانت معلقة على الحائط مرصوصة فوق بعضها على الأرض ، بطريقة عشوائية ، والأرضية عارية بدون سجاجيدها ذات الألوان الزاهية ، والأثاث غير مرتب ، والسكرتيرة ذات الساقين البيضاويين غير موجودة على مكتبها كالعادة ، وباب غرفة الدكتور سامح نصف مفتوح ، ما أن خطت عدة خطوات حتى انقطع التيار الكهربائي ، وأظلمت العيادة ، فارتعدت فرائصها من الخوف وتجمدت في مكانها ، فكرت أن تصرخ ، أن تهرب ، ولكن فجأة فتح باب الغرفة ، وظهر دكتور سامح كشبح ضخم وسط الظلام ،وهو يحمل كشافا كبيرا ، سلط ضوءه على وجهها ونادى عليها

ـ مدام أميرة رايحه فين .. أتفضلي

أطمئنت قليلا ولكنها ظلت في مكانها ، حتى تقدم نحوها ، واتجه نحو لوحة الكهرباء القابعة خلف الباب ورفع المفتاح فعادت الكهرباء من جديد ، ابتلعت أميرة ريقها ، وتنهدت ، ودكتور سامح يبتسم في وجهها ، ويرحب بها حتى دخلا الغرفة ، جلس دكتور سامح على مكتبه ، في حين جلست أميرة أمامه، ابتسم في وجهها ، وهو يتأمل بطنها المنتفخة والتي تعلن عن اقتراب وصول حمزة إلى الحياة

ـ أنتي قلقانة ليه كده ..

ـ العيادة مالها كده .. مفيش مرضى .. والسكرتيرة مش موجودة .. والوضع ما يطمنش .. إيه الحكاية ؟

ـ ما تقلقيش أوى كده، أنا قفلت العيادة، ومهاجر للولايات المتحدة .. علشان كده بعت لك اطمن عليكى قبل ما أسافر

ـ هتسافر ليه في حد زعلك ؟ البلد دي أحسن من غيرها

ـ لا غيرها أحسن

ـ ممكن أعرف أنت بعت لي ليه ؟ وبلاش شغل الدكاترة ده

ـ طول عمرك ذكية .. الأول حابب أقولك .. إن كل شيء في الدنيا دي قسمة ونصيب ، والقدر أحيانا يفرض علينا أوضاع ،لازم نتقبلها بالرضا ،علشان لو اعترضنا .. مفيش حاجة هتتغير وهنتعب أوى ..

ـ ممكن توضح كلامك .. لو سمحت ..

ـ أنتي بتحبي أسامة ..

ـ طبعا.. أسامة ده زوجي ، وأنا بحبه أوى ..وأنت عارف ده كويس

ـ طيب وعمر ..

ـ ما أحنا اتفقنا انه كان تجربة وعدت ، بحلوها ومرها .. كمان مكنش صريح .. تقدر تقول انه كان كداب .. أناني .. علاقات الفيس فكرته شهريار .. الستات بترمي نفسها تحت رجليه .. رغم انه طيب وغلبان ، لكن الفيس مليان ستات حياتهم فارغة كتير ، بيحولوا أي انسان تافه لشخص عظيم .. الفيس هو السبب ان عيادتك مليانه ... الله يسهلك ..

ـ يعني أنتي شايفه انه كان كداب وانه محاولش حتى انه يحارب علشان يوصلك ..

ـ تعرف لو عمر أخد خطوة واحدة علشان يقرب مني بجد ، يحول العلاقة من علاقة وهمية إلى واقع ، كنت حاربت الدنيا عشانه ،أنا حبيته من قلبي لكنه ما حاولش انه يوصل للحلم ويقرب خطوة علشان يقرب مني

ـ ده رأيك النهائي ..

ـ مش فاهمه أنت عايز توصل لايه ؟

ـ من عدة شهور .. جالي شاب هنا .. الشاب ده كان متجوز وعنده بنت .. وكان بيعاني من مشاكل مع مراته .. وده بسبب انه كان بيحب بنت من خلال شبكة التواصل الاجتماعي .. كان بيحبها بجنون .. لكن الظروف حرمته منها .. واضطرته يتجوز علشان يحاول ينساها .. لكنه ما قدرش .

ـ وإيه علاقتي أنا بكل ده .. دكتور سامح .. أرجوك أنا عندي ميعاد مع دكتور عصام .. علشان يحدد لي ميعاد الولادة .. ولازم أستأذن حالا

ـ أنا مش هطول عليكي .. أنا بطلب منك تسمعي التسجيلات اللي على الفلاشا دي .. بس أرجوكي اسمعي من باب حب الاستطلاع مش أكتر .. حاولي تحكمي عقلك مش قلبك ..

ابتسمت أميرة بسخرية،أخذت الفلاشا ووضعتها في حقيبتها

ثم وقف ومدت يدها إلى دكتور سامح وصافحته والذي ترنح من فوق كرسيه وودعها بابتسامة وهي تخرج من باب الغرفة

ـ أشوف وشك بخير

ـ خلي بالك من نفسك .. وفي أول زيارة لمصر .. فوني معاك

ـ أكيد .. بس ياريت زيارتك دي تكون سر بينا

ـ طبعا أوعدك هتكون سر .. رغم أني مش فاهمه حاجة .

ـ ٥ ـ

كانت أميرة راقدة على ظهرها ، ودكتور عصام يحرك جهاز السونار على بطنها العاري، ويتابع ببصره ذلك الطفل المكوم في أحشائها ، في حين شعرت أميرة بالتعب والإرهاق ، وكلمات دكتور سامح ما زالت ترن في أذنها ، ماذا يقصد بكل هذا ، ومن هذا الشاب الذي يريدها أن تسمع حكايته ، استيقظت على صوت دكتور عصام

ـ الجنين في حالة غير مستقرة .. الميه حواليه بتقل .. ووضعه غير طبيعي واخد وضع مقلوب والحالة ما تطمنش ، ننتظر يومين ولو الرحم ما فتحش ، هنضطر للقيصرية

شعرت أميرة بالخوف من كلمات الدكتور ، ودمعت عيونها

ـ معناه إيه ده يا دكتور في خطر على حمزة ؟

.. حاول دكتور عصام أن يهدئ من روعها ..

ـ لا طبعا .. القيصرية دلوقت بقت زي شكة الدبوس .. أنا بحب أفهم الأم الحالة بالضبط علشان تأخد بالها من نفسها مش أكتر .. لو تحبي تفتحي في أي وقت خلال اليومين دول أنا مستعد .. الجنين مكتمل النمو وحالته كويسه لحد دلوقت.. ما تخفيش

خرجت أميرة من غرفة الكشف وهي في حالة نفسية سيئة ، عادت إلى البيت فوجدت أمها وأبيها جالسان في الصالة يشاهدان التلفاز ، وما أن دخلت عليهما حتى سقطت على أحد الكراسي بجوارهما ،لاحظ الأب أن أميرة يبدو عليها الإعياء الشديد ، اقترب منها تحسس رأسها وأمسك بيدها

ـ مالك يا أميرة .. الدكتور قالك إيه ؟

لم ترد لكنها أسندت رأسها إلى الوراء ، وبدأت دموعها في الهطول ، هرعت نحوها الأم

ـ في إيه يا أميرة قلقتيني ..

ـ مش قولت لك نروح معاها يا فريدة

ـ هي اللي رفضت .. مش اتفقنا نروح كلنا سوا .. مالك يا أميرة طمنيني ..

لكن الأب تركها في صمتها القاتل، وأخرج هاتفه النقال واتصل بدكتور عصام ، والذي طمأنه على حالتها ، وطلب منه أن تحدد موعد يناسبها لعملية القيصرية اللازمة .

أغلق الأب الهاتف وطمئن الأم التي بدأت تبكي وهي تصعد بأميرة إلى غرفتها . أرقدت أميرة في سريرها وأعطتها الدواء ، وما لبثت أن غرقت في نوم عميق ..

في الصباح شعرت أميرة بأن حالتها الصحية قد تحسنت ، وأن حركة حمزة صارت طبيعية فتحسنت حالتها النفسية ، جلست على مائدة الإفطار بجوار أمها وأبيها يتبادلان أطراف الحديث ، حينما رن هاتفها النقال ، انه أسامة اتصل ليطمئن عليها ، فأخبرته بما قاله الدكتور عصام من تحديد موعد لإجراء القيصرية ، فطمأنها أنه سيعود قبل موعد الولادة ليكون بجوارها .. تبادلا العبارات الرومانسية ، فشعرت الأب والأم بتحسن الحالة النفسية لابنتهما ..

في المساء أعدت أميرة نفسها للذهاب إلى دكتور عصام لتحديد موعد العملية القيصرية ، مدت يدها في حقيبتها لتخرج شريط الحبوب المهدئة فاصطدمت يدها ببطاقة ذاكرة رقمية ، تذكرت أنها تلك البطاقة التي أعطاها لها دكتور سامح وطلب منها أن تستمع إليها ، جلست على مكتبها وفتحت جهاز الـ LAP TOP ووضعت الفلاشا ثم وضعت الـ HEAD FONE في أذنها ، واسترخت على الكرسي ولكنها صدمت وبدأت أنفاسها في التحرك بسرعة ،بمجرد أن سمعت صوت عمر ، أغلقت ضوء الأباجورة التي بجوار اللاب توب وأغمضت عيونها وهي تستمع ....

الفصل الرابع

ـ ١ ـ

كم كانت سعادتي ، وأنا أركب قطار المساء ،عائدا إلى بلدتي المحلة الكبرى ، بعد أن سحبت أوراق تخرجي من كلية الحقوق جامعة القاهرة ، أربع سنوات من السهر والمذاكرة ، حصلت خلالها على تقدير جيد جدا ، انتظرت أن تُعلن الجامعة عن حاجتها لمعيدين ، فلقد كنت على رأس القائمة ، وبمجرد أن أصبح معيدا في الجامعة ، سأتقدم لخطبة وفاء حبيبتي، ذات العيون السوداء والوجه الخمري والشفتين الورديتين ، لقد اقترب الوعد أن يتحقق يا وفاء ، سبعة أعوام من العشق ، منذ أن كنا معا في الثانوية العامة ، جاران في الشارع ، زميلان في الجامعة، عاشقان في الحياة

مر شهران وأنا أنتظر بلهفة المشتاق ، إعلان الجامعة عن حاجتها لمعيدين جدد ، لكنها كانت الصدمة الكبرى ، حينما تم اختيار بنت وكيل الجامعة بدلا مني ، شكوت كثيرا ، وصرخت مطالبا بحقي ، لكن بلا جدوى .

تبدد حلمنا يا وفاء ، هل ستنتظرين حتى أبحث عن عمل وابني مستقبلي، رغم أن باب المتقدمين قد فُتح على مصراعيه ، تلك الجميلة من سيتركها ، رغم أن الجميع ، يعلم بقصة حبنا ، لكن النية وحدها لا تكفي ، لابد أن أتقدم ، كيف وحال أسرتي لا يخفى على الجميع؟ ، أسرة كبيرة ، وأب يعمل فلاحا ، يزرع عدة قراريط ، تكاد أن تكفل له الكفاف .

كان أفراد أسرتي يعلقون أمالهم ، على ذلك الابن الوحيد ، الذي سلك طريق الجامعة ، كانوا يعتقدون بأنني المخلُص ، الذي سيخلص الأسرة من رق الفقر ، لكن خاب ظن الجميع !

ضاق أهل وفاء من رفضها للمتقدمين، الواحد تلو الأخر ، حتى استغاثت بي وفاء، لكي أتقدم لخطبتها .

ــ إلحقني يا عمر .. والدي مصر يوافق على العريس اللي متقدم لي

ــ طيب وأنا أعمل إيه ؟ ما أنتي عارفه الظروف يا وفاء !

ــ عارفه يا عمر .. أنا عايزة أهلي يفهموا انك جاد في علاقتنا.. حاول تتصرف.. بلاش تتخلى عني أرجوك..

شعرت بالخجل من كلامها ، الأمر الذي دفعني، أن أفعل ما أرادت، رغم قناعتي بفشل القصة بأكلمتها ، طلبت منها تحديد موعد مع والدها ، ارتديت بذلتي الوحيدة ، واشتريت علبة شيوكولاتة كبيرة ، كنت قد استلفت ثمنها من أحد أصدقائي ، واصطحبت أبي ، رغما عنه إلى بيت وفاء ، واستقبلني أهلها بالحفاوة والترحاب ، وبعد حوار طويل ممتع ، شعرت معه بالراحة النفسية ، ووفاء جالسة في الغرفة المقابلة ، تختلس النظر نحوي ، تشجعت وطلبت يدها ، كان والدها رجلا حكيما ، تحدث معي بكل هدوء ، وشعرت من حديثه بأنه مغلوب على أمره ، فظروفه لا تختلف عن ظروف والدي . الفقراء لهم نفس الطيبة والقسمات ، طحنتهم الأيام بلا رحمة ، تركتهم أشلاء بشر ، يعيشون على الكفاف ، لكن رغم ذلك راضون بما قسم الله لهم .

حدثني عن ظروفي التي أعرفها جيدا ، وأنا من قرارة نفسي ،مؤمن بأن كلامه صحيحا ، وأن هذه المحاولة ، ما هي إلا عملية فاشلة ، لإعادة الروح لجسد ميت بالفعل ، خرجت من بيت وفاء ، وأنا ألعن ظروفي ، وقلة حيلتي .

لم يمر أسبوعا إلا وسمعت الزغاريد تنطلق من بيت وفاء ، لقد تمت خطبتها ، لمحاسب في البنك الأهلي فرع المحلة الكبرى ، كان زميلنا في الجامعة ، لكنه استطاع الحصول على العمل عن طريق الواسطة .

مرت الشهور، وأنا أنتقل من عمل إلى أخر ، أحاول من خلاله ، أن أبني مستقبلي ،أو بالأصح ، أرفع الحرج عن والدي ، أن أحصل على مصاريف يومي ، دون أن أمد يدي ، أي عمل يدر أي دخل ، حتى لا أكون عاطلا .

خلال فترة عملي تعرفت على الكثير من البنات ، محاولا نسيان وفاء ، لكن كل محاولاتي باءت بالفشل ، وفاء الحب الأول .. لن أنساها أبدا .

حتى تعرفت على دعاء ، كنت في نقابة المحامين ، أستخرج كارنيه النقابة ، كانت تساند خالها الأستاذ عبد الرحمن شكري المحامي ، في حملته الانتخابية ، وقفت بجواره واشتركت معها في حملته الانتخابية ، طمعا في الحصول على عمل في مكتبه بالقاهرة ، ومع نجاح الأستاذ عبد الرحمن في انتخابات النقابة ، كانت المكافأة ، أن أنتقل إلى القاهرة ، وألتحق بالعمل في مكتبه ، كنت ألتقي بدعاء يوميا ، فاقتربت منها أكثر وأكثر ، وعرفت منها الكثير عن حياتها الشخصية . دعاء فواز ، بنت الخامسة والعشرين ، رشيقة

القوام ، بيضاء البشرة ، يتكاثر النمش حول عينيها فيزيدها جمالا ، ترتدي دوما البنطال والقميص الكاروهات ، ترتدي اسكارف غامق دائما ، يظهر بياض وجهها ، بنت لأم مصرية وأب سعودي ، شكت لي من والدها السعودي كثيرا ، لقد تركهم صغارا ، بل حاول التملص من المسئولية ، لكنها بمساعدة خالها ، استطاعت الحصول على مستحقاتها ، ومستحقات أمها ، وأختها الصغرى حنان ، لاحظت أن شخصيتها قوية ، ولكنها تقترب من شخصية رجل شجاع ، لا يهاب أحدا !

مع الوقت ، بدأت تتحول الصداقة إلى حب ، وبعد مرحلة الحب ، بدأت تلح في تحويل هذا الحب إلى ارتباط رسمي . لو كنت أستطيع الارتباط ، لكنت ارتبطت بحبيبتي الأولى يا دعاء ! ماذا تغير ، الظروف مازالت كما هى ، لم يضف عملي في المحاماة ، إلا لقب السيد عمر عبد الرحمن منصور المحامي ، ما أحصل عليه من عملي بالمكتب ، لا يكف لإطعام نملة .

بدأت أحاول إقناعها بفكرة السفر إلى الخليج ، وإلى المملكة العربية السعودية بالتحديد ، حيث موطن والدها ، الذي من السهل عليه ، أن يجد لي فرصة عمل كبيرة، تنقلني من خانة الفقراء ، إلى خانة الأعيان ، فمن السهل على والدها السعودي، أن يوفر لي فرصة عمل ،في إحدى شركات النفط ، وبذلك سيكون من الميسور ، تحقيق حلمنا وبسرعة ، أسافر عدة سنوات ، وأعود بعدها محملا بالريالات ، أتزوج وأفتح مكتب محاماة، أو مشروع كبير نعيش من ريعه .

وبالفعل استطاعت إقناع والدها ، إرسال عقد عمل وتأشيرة ، دون أن تذكر له أي تفاصيل تخص علاقتنا ، أو لأنه لم يهتم بالسؤال عن ذلك الشاب ، الذي تريد ابنته له السفر ، لم يهتم بعلاقات ابنته ، بل حاول إرضائها كونها ذات شخصية قوية

ظللت أشهر ،وأنا أنتظر على أحر من الجمر ، عقد العمل والتأشيرة ، وأنا أحلم بالسفر ، وتحقيق الثراء وتعويض أهلي سنوات الفقر والحرمان ، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، أخيرا وبعد طول انتظار ، وصل عقد العمل والتأشيرة ، لكنه بعيد كل البعد ،عن مؤهلي الدراسي ، وشعرت بخيبة أمل ، لا تقل عن خيبتي بضياع وفاء ، ترددت في قبول السفر ، لكن دعاء أقنعتني أن أسافر ، على أمل أن أجد فرصة أفضل هناك .

سافرت واستلمت العمل ، مسئول من ثلاثة مسئولين عن مجمع سكني ، براتب متوسط ، وتم تخصيص السكن داخل المجمع ، في غرفة حقيرة ، لا تليق بإنسان ، قبلت العمل ،

ولكن ما هون على هذا العمل ، مجموعة المصريين الذين قابلتهم هناك ، وبدأت أتأقلم مع حياتي الجديدة ، في هذا السجن الإجباري .

ومع الفراغ الذي كنت أعيشه ، بدأت أسترجع ذكرياتي مع وفاء حبيبتي الأولي ، ودعاء حبيبتي الحالية ، لكن بين الاثنين ، كنت أرسم في خيالي فتاة أحلام مختلفة ، تجمع بين وفاء ودعاء ، تمنيت أن أقابلها ، فأفرد أشرعتي وأرسو على شاطئ قلبها ، أشكو إليها قسوة الأيام ، وهجران الأحبة ، تؤنس غربتي ووحدتي ، أتسامر معها ، تشاركني أحلامي، تسمعني وتخفف عني عذابات الأيام ، تمد يدها فتمسح دمعتي . لكن أين في هذا الكمبوند الرجالي ؟ أين تلك الأنثى التي أبث إليها أشواقي وأحلامي ومشاعري ؟

ــ وليه ما لقتش في دعاء كل اللي أنت عايزه ده ؟

بدأت دعاء تتغير ، تتحول من تلك البنت المطيعة ، الهادئة الرقيقة ، الرومانسية الحالمة ، إلى نمرة متوحشة ، عنيدة ، يبدو أن دورها في البيت ،وتقمصها شخصية الأب ، قد نزع عنها صفة البنت الرقيقة ، لكنني كنت أبرر دائما هذه العصبية والشراسة ، بأنه بسبب بعدي عنها ، وأنها خائفة من تكرار تجربة الفراق، الذي حدث بين أمها وأبيها . إلى أن حدث بينا حوار أرى أنه سخيف ، وغير مسئول ، حينما قالت لي ذات مساء :

ــ ارجع مصر يا عمر ..

ــ في إيه خير ، قلقتيني ، أهلي بخير .. انطقي !

ــ ما تقلقش ، أهلك بخير ، أنا محتاج لك يا عمر ، تكون جنبي ، بلاش السفر والبعد ،ارجع نتجوز ونعيش بإمكانياتنا ، ربنا مش ينسى حد .

ــ أنتي مجنونة أكيد ، أرجع وأنا لسه ما جمعت ثمن التذكرة اللي أنا مستلف تمنها

ــ ملعون أبو الفلوس اللي تبعدني عن اللي بحبهم .

ــ اهدي يا دعاء وبطلي هبل ، وابعثي لأبويك يشوف لي شغل أحسن من القرف اللي أنا فيه ده

ــ حاضر يا عمر ..

كان تفكير دعاء حالم ورومانسي ، لكنه لا يتفق مع الواقع ، لابد أن أجد نفسي هنا ، أن لا أعود صفر اليدين ، أعود بخيبة أمل جديدة ، لابد أن أعود قويا ، ثريا ، أعود بسيارة

أحدث موديل ، وبدفتر شيكات عامر بالدولارات ، أرتدي أفخم الملابس ، أحمل الهدايا والعطايا للجميع .. لا يا دعاء لن أعود هكذا صفر اليدين !

مرت الشهور وطلبي من دعاء قيد الانتظار ، كيف تفكر تلك المجنونة ، كيف أرتبط بها وأنا أسير نحو مستقبلي ، راقدا على ظهر سلحفاة .

بدأ الملل يتسرب إلى قلبي ، مللت من طول الانتظار ، ومن رتابة الأيام ، كل الأيام صارت متشابهة ، كل من حولي رجال ، اشتقت لصوت امرأة ، أي امرأة ، تشغل فراغي القاتل .. حتى رأيت أحد زملاء العمل يحمل هاتفا خلويا ، ورأيت شاشة كبيرة مكتوب عليها FACE BOOK وفهمت منه القصة ، انه موقع للتواصل الاجتماعي ، أستطيع من خلاله ، أن أحادث أشخاصا ، على بعد ملايين الأميال ، أن أشغل فراغي العاطفي بالحديث ،إلى أي امرأة على الكوكب الأرضي ، وأن اسمع صوتها.

قمت بعمل حساب على الفيس بوك ، ذلك العالم الساحر الممتع ، الذي استطاع أن يخرجني من حالة الملل التي أحياها ، واستطاع أن ينسيني الدنيا ومشاكلها ، كان أشبه بحقنة مخدرة تدخلني عالم افتراضي ، أفعل فيه ما أشاء ، فقمت بعمل صفحة تحمل اسم قيصر العشق ، عليها صورة معشوق النساء في ذلك الوقت ، كاظم الساهر ، ودخلت جرو بات كثيرة ، وتعرفت على بنات وسيدات أكثر، الجميع يدخل ليفرغ شحنات الفراغ القاتل ، بوركت يا مارك .

إلي أن ظهرت تلك الساحرة الرقيقة ، فتاة تحمل صفحتها اسم RED SCARF ، قابلتها في أحد المجموعات ، كانت شخصية رومانسية ، وغامضة في نفس الوقت ، تسللت إلى قلوب الجميع باسمها المستعار ، وصورة تلك الممثلة التركية بيرن سات ، كانت منشوراتها رومانسية فوق العادة ، حاول الجميع التقرب إليها ، التعرف على تلك الشخصية الغامضة ، كانت كلماتها قليلة ، وردوها في حدود السؤال ، تحاول التهرب من أي تساؤلات عن شخصيتها ، حاولت أن أستفزها ، فبدأت أنشر منشورات أكثر رومانسية ،وبدأت أتفق مع شباب وبنات المجموعة أن نتجاهل منشوراتها ونهتم بمنشوراتي ، فاشتطت غضبا ، وبدأت تنشر منشورات أكثر رومانسية ، لأشعار رومانسية وفتيات دائما يرتدون الفساتين الحمراء ، كانت تشتعل رومانسية ، مما جعل الجميع يتنافسون على الوصول إليها ، وقبلت الرهان ، أن أعرف عنها ، ما لم يستطيعوا معرفته ، أن أرفع

الستار عن تلك الشخصية الغامضة ، أن أقتحم عالمها ، وأفك شفرتها ،أحصل على باسورد لغزها ، فأرسلت إليها رسالة على الخاص ، والتي ظلت حبيسة صندوق الرسائل ، دون أن تشغل بالها ، أو أن تمد يدها وتنتشلها من وحدتها، لتأخذها وتفض أختامها وتقرأ ما فيها ، مما زادني إصرارا على اقتحام عالم تلك الأميرة المجهولة ، ولكن كل محاولاتي باءت بالفشل ، كما فشل الجميع من قبلي، الوصول إلى شواطئ قلبها المغلق بسلاسل من فولاذ ، حتى ضقت ذرعا ، وهددتها بطريقة غير مباشرة بالانسحاب من الجروب والفيس ، فرضخت لتهديدي ، وفتحت الرسالة بسرعة البرق ، اشتعل قلبي ، وأسرعت نبضاته ، لماذا عندها هددتها بالغياب خافت هكذا ؟ من أكون حتى يشغل بالها حضوري أو غيابي ؟ شعرت بأن هناك بابا من العشق يُفتح ، لقد وجدت ضالتي المنشودة ، وجدت غزالتي الشاردة عبر صحاري الفراغ الذي أعيشه ، وجدت قمري المنير في ليالي المظلمة ، لكنني قررت أن أبقي كل هذا سرا ، أن أمسح من ذاكرتي ، ذلك الرهان الخائب ، مع هؤلاء الشباب الجوعى ، الذين يفتشون ليل نهار عن فريسة ، يلتهمون جسدها وصوتها وأفكارها ، الأميرة ريد سكارف لي وحدي ، ولن تكون مشاعا لكم أيها الفاشلون بامتياز .

تبادلنا أطراف الحديث ، مر الوقت سريعا ، وأنا أحداثها ، كانت تريد أن تعرف عني أكثر ، ترفض أن تتحدث عن نفسها ، عرفت أن اسمها أميرة وفقط

ــ أنا دلوقت عرفت إن اسمك أميرة ..لكن فاضل أعرف مين هي أميرة ؟

ــ سيبها لظروفها .. بلاش تشغل بالك دلوقت ..

مرت الأيام والصداقة بينا تكبر يوما بعد يوم ، حتى بدأت تثق في كلامي وحديثي ، فأصبحت صديقها الوحيد ، رغم تحفظها الشديد ، وصارت صديقتي الوحيدة التي تهون على الكثير مما أعانيه ، تقدم لي النصيحة ، تحمل في قلبها حنانا يكفي لإطعام ملايين المحرمين ، ذكرتني بأمي ، بحبيبتي وفاء ، وأنستني دعاء وقسوتها التي لا حدود لها . كان لدي رغبة قوية أن أرفع الستار عن شخصيتها ، ومع إصراري المتواصل باحت بمكنون قلبها ، لكن بكامل إرادتها ، بيقينها أني أستحق هذه الثقة . لقد شعرت برجولتي ، وطلبت مني أن أبقي ما بيننا سرا ، بدأت تعرفني بوالدها فؤاد بك شهاب ، دبلوماسي بالسفارة المصرية بفرنسا ، والدتها السيدة فريدة المراسي دكتورة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، وعمها ضابط في المخابرات الحربية ، وخالها ضابط في الأمن

الوطني ، شعرت بمدي ضالتي أمام هذه العائلة العريقة ، تلتفت حولي في تلك الغرفة الحقيرة التي أسكنها بمشاركة ثلاثة أفراد ، بعائلتي التي تعيش على الكفاف ، أبي الفلاح ابن الفلاح ابن الفلاح .. سرحت وأنا أسأل نفسي ..

ــ إيه دخلك يا صعلوك بين الملوك .. أنا لو فكرت بس أقرب منك ، أصغر جزمه في عيلتك هتفعصني ببساطة ، أنتي صداقتك كتيرة عليا

لكنها أيقظتني من أفكاري بسؤالها

ــ إيه يا بني روحت فين ؟؟

ــ بفكر هتغدا إيه ...

ابتسمت وهي تنعتني بالرخم ، وكأنها شعرت بهروبي إلى واقعي المرير ، وخوفا من سؤالها عن أهلي .. لكنها فهمت الإجابة فلم تسال

ومرت الأيام والصداقة تزداد ، شعرت أنها تعيش في حالة من الوحدة ، من غياب والدها المستمر خارج البلاد ، وأمها التي تعاملها كشرطي يحاسبها على كل صغيرة وكبيرة ، كانت تنتظر عودة والدها ، في أجازته شبة الدورية ، وحينما يأتي تختفي عن الفيس نهائيا ، حتى تودعه في المطار وتعود إلى مقعدها المفضل على الفيس بوك، فأبادرها بعبارة

ــ من لقى أحبابه نسى أصحابه

ــ فؤاد شهاب ده لا يقارن بحد ، ده عشقي الوحيد ..

مرت الأيام بسرعة ، ومع الوقت اقتربت منها أكثر ، وبدأت تخرج علاقتنا من شات الفيس والرسائل ، إلى أن سمعت صوتها ، كان صوتها أشبه بصوت الكناريا ، الذي لا يخلو من الرومانسية والحنان ، فتعلق قلبي بها أكثر ، إلى أن زاد طمعي ، وطلبت أن أرى صورتها ، ومع إلحاحي ، رضخت لطلبي ، ورأيت صورتها ، وبمجرد أن رأيتها ، توقف قلبي عن النبض ، شعرت بأن روحي تصعد إلى السماء ، لتمسك بحدود ذلك القمر السماوي ، وتطلب منه أن يرحل بعيدا ، فكوكب الأرض ، يعيش عليه قمرا اسمه أميرة ، فما عليه إلا أن يرحل إلى مجرة أخرى .

أصبحت أميرة ، هي طوق النجاة ، الذي أنقذني من وحدتي ويأسي ، شعرت أنها صارت أقرب إنسان إلى قلبي ، صارت جزء مني ، صارت توأم روحي ، لا أطيق الحياة

في بعادها ، أنتظر اللحظة التي تجمعني بها ، أنستني حبيبتي وفاء وحبيبتي دعاء ، وكأنها كانت تلك الفتاة التي رسمتها في خيالي ، تلك الأمنية المعلقة بين السماء والأرض ، تنتظر أن ينظر إليها الرب فتتحول إلى واقع ، لم أشعر إلا وأنا أحادثها ، عن مشاعري تلك ، أكسر كل قواعد الصداقة ، وأمنح القلب ذلك التوهج الروحاني ، أكسر تلك السلاسل الفولاذية ، أبوح بمكنون القلب ، أخبرها بأن قصة الصداقة تلك ، لم تعد تجدي معي ، لم تعد تلك الحقنة المخدرة ، التي تدخلني عالم الأحلام ، أريدها واقع ، حقيقة ، أريد ذلك الجنين ، أن يخرج إلى النور .

ولكن كانت المفاجأة التي شلت تفكيري ، إنها بادلتني نفس المشاعر ، تلك الأميرة الحسناء ، تعشق ذلك الكائن الهلامي ، ابن الفلاح ، لم أكن أتوقع ، هذا الرد غير المتوقع ، كنت أعتقد أنها ستُوقفني عند حدي ، أن تتحول إلى نمرة ، لتخبرني أنها أخطأت ، حينما رفعت تلك الكلفة بيننا ، انه من المستحيل ، أن يصل جذع الشجرة إلى عنان السماء .

ندمت على هذا التصرف ، حاولت أن أهرب ، أخبرها أني لم أكن في كامل قواي العقلية ، وأنا أقولها ، لقد أوصلتها حد الغرام ، ثم الآن أحاول أن أهرب . يا لوقاحتي ! لقد سرقتني سكينة العشق ، فذبحتها بدم بارد ، كيف أخرج من تلك الورطة ، التي أوقعت قلبي بها ، كيف سأتسلق ذلك الجدار العازل ؟ الذي لم أستطع أن أتسلقه ، لأحصل على حبيبتي وفاء ابنة قريتنا الفقيرة ، هل أستطيع أن أتسلقه ، للحصول على الأميرة أميرة . كان يجب أن احتفظ بمشاعري داخل قلبي .. بمجرد معرفتي بكل تلك الفوارق الاجتماعية . بدأت تعيش قصة العشق بإخلاص ، تخبرني أني عشقها الأول والأخير ، أن يوم اعترافنا بحبنا هو يوم تاريخي .

ــ هيكون تاريخ ميلاد حبنا ، اللي هنحتفل بيه كل سنة أنا وأنت وأولادنا الأربعة ،اللي أولهم حمزة وأخرهم زينب

حاولت أن أوقظها من أحلامها ، وأهرب من تلك الحالة الرومانسية

ــ أربعة أطفال ، أنتي أخرك طفلين بس ، ولو قدرتي تجيبيهم يا ناعم يا عسل أنتي ، يبقه نحمد ربنا

ــ علشان يكونوا أولادي وأخواتي اللي اتحرمت منهم

وأبحرت سفينة العشق في بحر الأحلام ، كانت تحلم بأسرة وأطفال ، وأنا أحاول إيقاظها من حلمها الوردي على صخرة الواقع ، أزرع العقبات في طريق ارتباطنا ، وهى تزيل كل الفوارق والصعوبات ، من خلال عالمها الوردي ، وحياتها الملكية التي تعيشها ، فهي ابنتهم الوحيدة التي تأمر فُتطاع ، خصوصا من والدها فؤاد بك شهاب ، حاولت أن أشرح لها ، كم الصعوبات التي تواجه ذلك الارتباط ، لكنها كانت دوما ، تطلب مني أن أتقدم وحسب ، وأترك الباقي عليها . كلما تذكرت حجم عائلتها ، أشعر بالضالة ، والخوف من الاقتراب من تلك الطبقة المحظور التعامل معها ، إلا من خلال مفهوم واحد فقط ، سادة وعبيد .

إلى أن وجدت طوق النجاة ، ظهرت دعاء من جديد ، في محاولة منها ، لاستعادة حبي ووعدي القديم بالزواج منها ، وجدتها فرصة، لتكون ذلك الحبل ، الذي سيخرجني من الجب الذي أوقعت روحي فيه ، بلا وعي مني .

أعترف أني استخدمتها، لتكون تلك الساحرة ، التي ستخرجني من تلك الورطة ، استجبت لرغبة دعاء ، لإعادة ذلك العشق القديم ، وقبلت بإرادتي تلك التمثيلية ، عن محاولة انتحارها ، والتي أشركت معها أختها باحتراف ، حاولت أن أخذها كوسيلة، لإحداث مشكلة مع أميرة ، قد تنهي تلك المهزلة ، التي صنعتها بيدي ، لكن أميرة كانت أذكى ، في الحفاظ على حبها ، بأن ألقت الكرة في ملعبي ، وطلبت مني أن أفعل ما أشاء ، وتركت لي حرية الاختيار بينها وبين دعاء ، لكنني خشيت من تشويه صورتي أمامها ، فعدت سريعا إلى أحضانها من جديد ، كطفل أخطأ في حق أمه ، وعاد سريعا يقبل يدها ، يبكي تحت أقدامها ، يطلب العفو والغفران ، ولم يخب ظني ، غفرت وسامحت وعادت إلى من جديد ، عاد الحب أقوي من ذي قبل ، كنت أريد أن أصرخ فيها ، أثور عليها أخبرها بأنني لا أستحقها ، أنني أفتعل كل ذلك ، لكي أغادر أرضها برضاي ، قبل أن أغادرها غصبا عني ، أغادر أرضها بسلاحي وعلى فرسي ، قبل أن أغادرها أعزلا أسيرا ، أغادر قلبها ، وأنا في كامل قواي العقلية ، قبل أن أغادره مجنونا .

مع كل يوم يمر بيننا ، كنت أشعر بتأنيب الضمير ، من تلك الأميرة الرومانسية التي سرقتها أحلامها ، لم تستطع إدراك الفارق بين حجمها وحجمي ، الصدام بين كوكب الأرض وكوكب المشترى سيكون قويا ، سيحرقنا إلى الأبد ، قررت أن أعيد المحاولة

عن طريق دعاء من جديد ، واستخدمها كحبل قوي ، لأخرج من أسوار تلك القلعة الحصينة ، حكيت لدعاء القصة كاملة ، وطلبت منها أن تساعدني في التخلص من رق هذا العشق المستحيل ، لكنني لم أكن أشعر،أني قد وضعت ذلك الحبل حول رقبتي ، اتفقنا أن تساعدني في التخلص من أميرة ، على أن نبدأ صفحة جديدة ، لم أشعر بالخطأ الذي ارتكبه ، إلا حينما قالت بغضب:

ـ للدرجة دي حبيت أميرة ، ونسيت حب سنين بينا

وبدأت في نسج خيوطها حول أميرة ، أرسلت إليها رسالة، تطلب منها أن تبتعد عني ، وألا تضع بيديها ، نهاية لقصة حب دامت لسنوات ، بين اثنين عشاق .

لكن أميرة لم تجبها ، بل جرت نحوي كطفلة صغيرة ، تحاول تلك الساحرة الشريرة ، أن تسرق دميتها الصغيرة ، فما كان مني، إلا أن تراجعت عن مخططي ، وطلبت منها ألا تخاف ، فقصة دعاء انتهت بلا رجعة ، وإنها كالميت الذي يحاول الرجوع إلى الحياة ، ولكن بعد صعود الروح ، وجلوسها بين الملكين للحساب .

لم أستطع إنهاء قصة العشق هكذا ، فأنا أعشقها بكل جوارحي ، لكنني أعرف النتيجة مسبقا ، جرح جديد ، سيضاف إلى جرحى القديم ، حينما فقدت حبيبتي وفاء ، لكنني لم أكن أهتم بجرحي ، كنت أخشى عليها من الصدام مع أسرتها ، التي ستذبح هذا العشق بمنتهى الاحترافية ، ولكنني عدت أدراجي مرة أخرى ، وطلبت من دعاء أن تتبع رسالتها برسالة أخرى ، أشد قسوة من الأولى ، لكنني لم أتوقع أن تكون دعاء بكل هذا التوحش التتري ، شعرت أنها وجدتها فرصة ، للانقضاض على ذلك الحمل الوديع ، وتقطيع أوصاله ، ذبحه وسلخه ثم تدخله مرحلة الشواء ، تمهيدا لإحراق قلبها للأبد ، والخلاص منه نهائيا . كان قلبي يتقطع ألما ، وأنا أسمع صوت بكائها وهي تعاتبني

ـ أنا نزوة في حياتك ، أنا عاهرة ، كنت وأخذني تسلية لحد ما حبيبة القلب ترضى عنك وترجع لك ، رد عليا ساكت ليه ..هو سؤال واحد وترد عليه وبصراحة ، أنت بجد متفق معاها على الرسائل دي ؟

لم أستطع الرد ، حتى لا تسمع صوتي المفعم بالبكاء ، كانت دموعي تحرق خدي ، وأنا أسمع صوت بكائها، أريد أن أصرخ فيها ، نعم أنا من طلبت منها ذلك ، أنا من أريد أن أوقظك من حلمك المستحيل .. أنت لست لي . ولن تسمح عائلتك ، بذلك وكعادتها الملائكية

أغلقت الخط دون رد . مرت الليالي طويلة وصعبة ، لكن ذكرياتها الجميلة ، كانت مصدر راحتي وسعادتي ، وفي لحظة حنين وأنا أنظر إلى صورتها على الوات ساب ، ضغطت اتصال ، كنت أتمني أن أسمع صوتها ، لكنها لم ترد ، ومع عنادها في عدم الرد ، كنت أحادثها كالمجنون ، أتخيلها أمامي ، أبث إليها حديث الغرام ، أشكو إليها قسوة الأيام من بعدها ، أشرح لها سبب فراقنا ، ألا اللعنة على الظروف .

كرهت نفسي بعد اتفاقي مع دعاء، وكرهت ظروفي الصعبة، التي أبعدتني عنها وفرقت بينا ، ولم أفق إلا على صوت رنين الهاتف ، فرح قلبي وظننت أنها أميرة ، رقت لحالي ، وبدون وعى ، قرأت اسم المتصل أميرة ، فبلت المحادثة ، بشوق ولهفة عاشق مجنون، ولكن صوت دعاء الرجولي أعادني إلى الواقع

ـ أنت فين اتصلت بيك أكتر من مره وفونك كان مشغول، بتكلم مين يا دنجوان...

ـ بكلم في نفسي عايزه إيه اخلصي مش رايق.

ـ ليه يا روميو حبيبه القلب منكدة عليك.

ـ أنتي متعرفيش تكوني حاجه تانيه غير نكديه.

ـ أنا نكديه ..أنا نكديه.

وتركتها تحادث نفسها ، وتذكرت نفس الموقف مع أميرة .

ـ فون حبيبي مشغول مع مين ..إياك تكون بتحب غيري !

ـ هو أنا أقدر .. كنت بكلم والدتي بطمن على صحتها.

ـ سلامتها...سلم لي عليها وقولها في بنت بتحب أبن حضرتك .. وبتشكرك جدا على إنجاب هذا المز الجميل.

ـ بحبك يا مجنونة

استيقظت على صوت دعاء المزعج

ـ أنت متعرفش تكون رومانسي للأخر لازم تنيلها ف الأخر بكلمة مجنونه وكأن صراخها زلزل حلمي ، أيقظني من مشاعري الحالمة

ـ أنا أسف يا سيتى على كلمة مجنونة وعلى اللي قبلها كمان .

وأنهيت المكالمة ، دون أن أعرف سبب اتصالها . ومرت الأيام ، وأنا أتقلب على جمر شوقي وحنيني لأميرة من ناحية ، وقسوة دعاء، وتقلب مزاجها من ناحية أخرى .

لكنني لم أيأس من تكرار محاولاتي في الاتصال بأميرة ، على أمل أن ترد ، وأسمع صوتها ، أو حتى أسمع صوت أنفاسها ، فيبرد نار شوقي المتوهج ، أريد أن أهمس لها ، اعذريني يا حبيبتي ، فشوقي إليك فوق الاحتمال ، وصوت كاظم يواسيني .. عانقيني قبلي عينيا وأمضي ، اعذريني يا حياتي ، لم أعد قادر إلا .. على الصمت لترضي

وأخيرا عادت روحي وأشرقت شمس حياتي بنورها ، حينما سمعت(الو) من أميرة بصوتها الجميل الساحر الحنين.

ـ أزايك يا أميرة ؟

ـ الحمد لله تمام.

ـ كويسه جدا بفضل ربنا...

ـ ونعم بالله طبعا....

ولكنها لم تمهلني أن اشبع من صوتها ،قطعت كلامي .

ـ شكرا لسؤالك بعد أذنك علشان مشغولة .....مع السلامة

رغم صدمتي من ردها المختصر ، ولكن سعادتي بسماع صوتها أعادت إلى روحي ، وكأن صوتها كان الأكسجين الذي حرمت منه لشهور.

كان ردها البسيط المختصر ذلك ، بمثابة ضوء أخضر ، شجعني على تكرار المحاولة من جديد ، واتصل بها.. وكم كانت سعادتي !، وكأنني أدم يعود للجنة من جديد ، ردت وبسرعة وكأنها كانت مثلي ، تنتظر تلك الجرعة الروحانية من العشق ، تنتظر توأم روحها أن يعود إلى الالتصاق بروحها من جديد ، لكي ينهض ذلك الجسد الميت ، من رقاده تحت التراب ، ليجلس على عرش مملكة العشق التي نحكم نواصيها معا . تعاتبنا ، تصافينا ، عدنا كما يعود الماء إلى النهر في موسم الفيضان ، روينا الأرض ، وغسلنا الجبال والوديان ، ونبتت في حدائقنا الأزهار ،عاد الربيع من جديد ، وعادت الطيور إلى موطنها .عدنا كما كنا ، رغم شعورنا أن هناك حاجز ، عدنا تحت مسمي أصدقاء ، رغم أن كل واحد منا ، يدرك تمام الإدراك أنه يعشق الأخر بجنون ، وأن وجوده في حياته هي الحياة بعينها .

عادت الأيام السعيدة من جديد ، وعادت حالتي النفسية إلى معدلاتها الطبيعية ، وراق مزاجي العام ،والذي كان له أكبر الأثر ، على تحسن العلاقات بيني وبين دعاء ، لقد

عادت أميرة التي كانت دائما ، تهون صعوبات الحياة ، لقد عاد الحضن الدافئ الذي أرتمي فيه ، مع كل ضائقة تحل بي. مرت الأيام ، واقترب موعد زيارتي لمصر بعد غياب سنوات ،عن الأهل والأحباب. كنت أستعد للعودة ، وأميرة تشاركني كل تجهيزات عودتي ، بذوقها الراقي ، اختارت الهدايا التي اشترتها إلى أسرتي ، وكأنها تعيش معهم ، وتدرك أذواقهم. في الفترة التي سبقت سفري ، كنت سعيدا لرجوع أميرة إلى حياتي، لكن ضميري كان يشتعل نارا ، وأنا أرى لهفتها لعودتي ، وكأنها تنتظر أن أفتح معها فكرة الارتباط ، والتقدم لأهلها خلال فترة أجازتي . أياما طويلة وأنا أفكر في مخرج لما أنا فيه ، هل أكرر تجربة وفاء ، أذهب إليها محملا بأكاليل الغار ، وأنا مهزوما مكسورا ، هل أقتحم تلك القلعة المحصنة وأنا أعزل ، أحارب جيشا جرارا ، وأنا على حمار أعرج .

لكنني قررت أن أتقدم إليها ، سألقي بقلبي على عتبات قصرها ، سأقابل قيصر روما وأطلب منه يد ابنته الحسناء ، سأمثل دور سبارتاكوس ، وأطلب الحرية لقلبينا، سأكسر رق العبودية ، وأكسر تلك السلاسل الفولاذية التي تطوق عنقي .. سأدخل عالمك ، وأخطفك على صهوة حصاني . أخبرت أهلي بخبر عودتي ، وطلبت منهم الاستعداد، فأنا عائد لارتبط بفتاة أحلامي ، لكنني لم أخبرهم بالقصة كاملة ، فقط أخبرتهم ، بأنني سأخطب فتاة جميلة ، كما أنني لم أخبر أميرة أيضا بما أخطط له ، قررت أن تكون تلك المفاجأة السارة هي هديتي لها .

تمنيت أن تمر الأمور على خير ، لكنني على أي حال ، سأفعل ما طلبته مني ، حتى أحرر نفس من تأنيب الضمير ، تمنيت أن يرفضوا وتنتهي القصة ، لكنني قررت أن أقابل أهلها ويحدث ما يحدث .

حجزت تذكرة السفر ، وتحدد يوم سفري ، و كانت أميرة شريكة ليلتي ، حتى موعد صعودي للطائرة ، وانقطع بينا الحوار بإقلاع الطائرة .

وبمجرد أن وصلت مطار القاهرة ، ووقفت أمام ضابط الجوازات ، لاحظت انه ينظر إلي نظرات مريبة ، أوقعت الخوف في قلبي ، وكأنه يتعمد تأخير إنهاء الإجراءات الخاصة بمغادرتي المطار، حتى أشار إلى أحد الضباط ، والذي هرع نحوي على الفور ، وقام بالقبض علي بدون أي أسباب ، اقتادوني إلى غرفة منعزلة للتحقيق معي .

كان قلبي يرتجف ، ماذا فعلت لكي يتم احتجازي هكذا ؟ ، وفي غرفة صغيرة بها مكتب وحيد وكرسي ، جلست انتظر ، وبجواري حقائبي ، حتى دخل الغرفة ، شخص يرتدي بذلة سوداء ، يبدو أنه من رجال الأمن .. ابتسم في وجهي

ـ ما تخفش .. كلها ساعة وهترجع لبيتك وأهلك .. مجرد دردشة بسيطة ، اعتبرني زي والدك أو أخوك الكبير ..

ـ خير يا فندم .. أنا تحت أمر سيادتك

ـ أعرفك بنفسي .. أنا شكري المراسي .. من الأمن الوطني .. وخال أميرة فؤاد شهاب .. أظن أنت فهمت دلوقت .. إيه مغزى الدردشة دي ، أنت شاب ذكى وهتقدر تعرف فين طريق مصلحتك وتمشى فيه..واللي هيكون طبعا بعيد جدا عن بنتنا أميرة

لقد فهمت كل شيء يا سيدي ، لمجرد أن فكرت أن أتقدم إليها ، أشهرتم أسلحتكم في وجهي ، لقد عرفت المطلوب مني بالضبط ، أن أُنهي تلك العلاقة بهدوء ، قبل أن يتم إنهائها بالقوة ، أن أسلم أسلحتي ، وأخرج من المعركة أعزل . أن ألتزم حدود مدينتي ، أن أبحر بعيدا ، فحبيبتي مكتوب عليها " ممنوع الاقتراب ". نظر نحوي نظرة حادة ومخيفة ، رغم ابتسامته الساخرة .

ـ الرواية الجميلة اللي عملتها أنت ودعاء على أميرة عجبتنى جدا وعشان كده نفذتها لكم وحجزت لكم القاعة وكل الترتيبات جاهزة لإتمام خطوبتكم وما عليك يا بطل إلا التنفيذ والانتهاء من إجراءات ارتباطك بدعاء ، على وجه السرعة . ومش محتاج أنى أقولك الأهمية القصوى ..لسرية المقابلة دي حتى عن نفسك .. أنت فهمني كويس.

خرجت من المطار وجسدي يرتجف ، وقلبي ينتفض ، ومشاعري تحترق ، لقد تكرر نفس سيناريو سرقة وفاء من بين أحضاني، ولكن بإخراج مغاير، المخرج هذه المرة ، يمتلك القوة والسلطة ، فأخرج العمل بإتقان واحترافية ، يبدو أن دعاء ، هي قدري الذي لا مفر منه !

وبمجرد عودتي، نفذت التعليمات حرفيا ، واصطحبت والدي ووالدتي إلى بيت دعاء ، وتم الخطوبة رسميا . وخلال شهور الإجازة لم أحاول الاتصال بأميرة ، خوفا من المواجهة الصعبة مع أهلها ، شعرت بأنني تحت الميكروسكوب ، لو اقتربت منها ستقطع رأسي ، فقررت الانتظار حتى أعود إلى السعودية من جديد .

مرت شهور الإجازة وكأنها دهر ، كنت أتمني أن أطير بدون طائرة ،إلى غربتي وحدي ، حيث مكان لقاء حبيبتي التي سرقوها مني . رغم أن ما بين بيتي وقصرها ، ساعة سفر من بلدتي إلى القاهرة ، ولكنه من رابع المستحيلات أن اقترب منها .

قضيت الأجازة ، حزين ومهموم ، أضحك أمام الناس ، وقلبي يبكي هما، ومن حولي لا يشعرون بالنار التي تكوي روحي

ــ فينك يا أميرة كنتي بتحسي بيا من حروف كلماتي. واللي جنبي وعيوني في عيونهم مش حاسين بحزني .. لم يواسيني سوى صوت كاظم

" أمشي وأضحك يا ليلى مكابرة ، علي اخبي عن الناس احتضاراتي ، لا الناس تعرف ما أمري فتعذرني ، ولا سبيل لديهم في مواساتي "

وعدت إلى السعودية من جديد ،بلهفة المشتاق ، أتلمس طريقي إلى حبيبتي وهرعت إلى جنتي، اتصلت بحبية قلبي ، كم أوحشني صوتها اتصلت بها

ــ الو أزايك يا قلبي

وبصوت باهت حزين..

ــ حمد الله على السلامة رجعت أمتى

ــ من ساعة ، مسافة ما وصلت ، وأخذت شاور .

ــ أنت مش بتفتكرني غير في الغربة ، هي نمرتي على الخط السعودي بس

ــ النمرة وصحبتها في قلبي .

ــ علشان كده شهور في مصر جنبي ما فكرت حتى تطمني عليك وانك وصلت لأهلك بالسلامة، أو حتى تطلب تقابلني وأشوفك وتشوفني.

ــ صدقيني يا أميرة زيارة متعبة كلها مشاكل وحوارات ما كنت أعرف إن الغربة أفضل

ــ أها عندك حق..

وإذا بها تفاجئني بوابل من صوري في حفلة الخطوبة ، وكأنها كانت موجودة معنا ، انعقد لساني وتجمدت أطرافي من الصدمة ، لم أستطع الرد وهي تسرد كلامها ، ودموعها تجرح قلبي ، هل أخبرها بما حدث ، هل أخبرها أن أهلها هم من فعل بنا كل هذا ، أنني أجبرت على الرحيل .. تركتها تجرح قلبي وتتهمني بالكذب ، ودموعي تحرق خدودي ، أكتم صوتي حتى لا تسمع صوت أناتي

ــ لما قالولى انك كذاب ومخادع وبتلعب بيا كذبتهم وصدقت كذبك، تصورت الجميع أعدائي لما فكروا يبعدوني عنك تحت مسمى الفوارق اللي بينا وكنت مستعدة أهرب من الدنيا كلها لحضنك لكنك طلعت وهم ،وكذبة زي العالم الافتراضي اللي عرفتك فيه ، ابعد عنـــي مـــش عايزه أعرفك.

وأنهت المحادثة ..وحالتي لا تختلف عن حالتها بل أكثر سوءا ، يا لغبائك يا أميـــرة ، ألـــم تدرك بعد الحقيقة ، أن حبنا قدر ، لكن ارتباطنا نصيب ، تحكمه شروط وقواعد من صـــنع الإنسان كالفوارق الاجتماعية

مرت شهورا في غربتي بدون الترياق ، بلا قلبها الطيب ، وحضنها الدافئ ، مـــرت ثقيلـــة وكأنها جبال أحملها على كتفي وحدي ، حالتي تنتقل من سيء إلـــى أســـوء ، تـــدهورت حالتي النفسية والصحية، أعانق صورتها وأنا انفخ همومي مع دخان سجائري، وارشـــف فنجان القهوة ، أتلذذ بمرارتها ، أحادث صورتها ليل نهار ، مع صحوي ونومي .

بدأت علاقتي بدعاء تسوء، وتزداد المشاكل فيما بينا ، كانت دائما ، تسألني عن سبب تغير حالتي بعد سفري .

ــ مكنتش كده قبل نزولك مصر ، أنت أتغيرت بعد رجوعك مصر وخطوبتنا..

كنت أريد أن أصرخ فيها، أخبرها أن تفهم ، أن تقدر ظروفـــي،أن تحتـــويني ، أن تكـــون الترياق لجرحي النازف من شرايين قلبي ، لا أن تكون الجلاد الذي يكوي قلبي بقســـوة ، ولكن لا حياة لمن تنادي . كانت تخشى من ظهور الشبح من جديد في حياتي ، أن أعـــود إلى حبيبتي من جديد ، فهي ملاذي في غربتي ، لم تكن تدرك أن وجود أميرة في حياتي، هو السبب القوي الذي يجعلني أتقبلها ، لكي لا أخالف شروط اللعبة التي فرض على أن ألعبها ، أن أتقن دور الخائن باحتراف ، كانت تصرفات دعاء تشـــعرني بالضـــيق ، كانـــت أغبى من أن تحاول ، أن تكسب قلبي ، بل كانت بتصرفاتها الهوجاء تجبرني أن اكرهها .

إلى أن وصلت إلى قناعة ، بأن تلك الدبلة التي تلتف حول إصبعي ، ما هي إلا حبل مـــن الأشواك يطوق عنقي ، وأن خطبتي لها ، هى السبب في بعد أميرة عني ، لـــم يعـــد لـــدي القدرة على سماع صوتها ، أو التعامل معها ، قررت أن أخلع دبلتها ، وأفك الحبـــل مـــن حول رقبتي ، وأهرع إلى حضن حبيبتي ، وأطلب منها السماح ، أخبرها بالحقيقة ، أننـــي أجبرت على الرحيل ، أنني سأقف في وجه الدنيا من أجلها ، لن أخشى بطـــش القيصـــر ،

سأموت بشرف في ساحة القتال، ولن أسلم سيفي ، حتى لو خطفتها على حصاني ، وهربنا بعيدا عن كوكب الأرض ، الذي امتلأ عفنا ، وظلما ، وكراهية ..

لقد أخذت القرار ، بل بدأت في تنفيذه بالفعل ، ومع أول اتصال لدعاء ، وقبل أن تفتح الباب لدخول أول معركة صباحية ، أخبرتها بأن كل شيء بينا قد انتهى ، وبأنني قد خلعت دبلتها من أصبعي ، وعليها أن تبلغ أهلها بهذا القرار، وأن لها مطلق الحرية في اختيار أسباب الانفصال ، حتى ولو جرحتني ، لأنني لم أعد اهتم، واتصلت بوالدي وأبلغته بقراري ، وأنني سأعيش حياتي مع الإنسانة التي حلمت بها ، ورسمت ملامحها لتكون شريكة حياتي وأم أولادي مهما كان الثمن..

أسرعت الخطى بقلبي إلى جنتي ، أبلغها بقراري، لقد قررت أن أحارب الدنيا كلها من أجلها، سأحطم كل الأسوار التي تفصلنا .

ــ أميرة لسه بتحبيني ومنتظراني.... أنا رميت الدنيا كلها على طول ذراعي ورجعت لك

ــ رجعت متأخر أووي يا عمر .. أنا اتخطبت

شعرت بأن الدنيا تدور برأسي ، وشعرت بأن دموعي ودموعها اتحدا، ليحفرا أنهارا على خدودنا الرقيقة ، ولكنني لم أستطع تمالك أعصابي، وبشجاعة من فارق الحياة رغما عنه ،خرجت مني كلمة مبروك

تذكرت حينما علمت بخبر خطوبتي ، هكذا كان شعورك يا أميرة ، يا لقسوتي ، كيف تحمل قلبك الرقيق ، كل هذه الخناجر التي أشعر أنا بها الآن .

ومرت الأيام ، واستسلمت لفكرة الفراق الأبدي بينا، ولكن حبي لها ، كان يشتعل مع ذكرياتي التي قضيتها معها ، أتذكر صوت ضحكتها البريئة وكأنها طفلة ، لكنني أمنت بحكمة القدر ، أن أميرة مثل الشمس في حياتي من المستحيل أن أمتلكها ، ومن المستحيل أن أعيش بدونها، وقررت أن تستمر علاقاتنا ، تحت أي مسمى ، اتصلت بها لكي أطمئن على أخبارها ، ردت بسرعة البرق ، وكأن قلوبنا ترفض كل تلك القرارات التي فرضت علينا ، واتفقنا أن يتحول الحب إلى صداقة ، تلك المعادلة الصعبة ،التي فشل كل علماء الفيزياء في التوصل إليها ، وبمجرد أن أخبرتها أننا من الآن ، صرنا أصدقاء .

ــ أنتي من النهارده أختي وصديقتي الوفية..

كررتها أميرة بصوت حزين شل عقلي ، ولكنني كنت على ثقة أنها تسمع صوت قلبي وهو يصرخ ..

ـ كداب متصدقيش.. أنا بحبك وبعشقك

ـ وأنت أخويا كمان ..

ولكن سمعت صوت قلبها يصرخ ...

ـ بحبك وبعشقك يا حب عمري..

وقررنا أن نهرول وراء عقولنا ونحن الكاذبون ونترك قلوبنا في عالمها الخاص...

الفصل الخامس

ـ ١ ـ

لم تستطع أميرة استكمال تلك المعزوفة الحزينة ، تفاصيل تلك المؤامرة التي قادها الجميع لإنهاء تلك القصة بمنتهى القسوة ، نزعت السماعة من أذنيها وألقتها أمامها وهي تبكي ، تلعن تلك الظروف التي قادتهما إلى تلك النهاية .. عمر لم يكن يخدعها ، لم يكن كذبة ، لم يكن ذلك السم الذي وضع في العسل ، عائلتها من فرضت عليهما تلك النهاية ، كيف تتصرف ، كيف تعيد الروح إلى جسدها ، تساءلت عن حال حبيبها الآن ، بعدما جرحته بقسوتها ، بعدما أغلقت في وجهه كل منافذ الاتصال ، لقد توجت تلك المؤامرة بغلق الباب وبقسوة في وجه حبيبها

شعرت بدوار شديد ، روحها تكاد أن تصعد، لماذا اشترك الجميع ضدهما ، حتى والدها الطيب اشترك في حبك تلك القصة ببراعة ، لم تكن تتوقع أن يخدعها الجميع ، كانت دموعها تتساقط بغزارة ، فتغرق خدودها وتتساقط بغزارة وتروي بطنها المكوم بداخلها حمزة ..

تساءلت وهل أسامة على علم بكل هذا ، هل اشترك معهم في المؤامرة .. هل كان له دور في صنع تلك الأحداث ..

وقفت بصعوبة وهي تدور حول نفسها ،تزرع الأرض بخطواتها المرتعشة ، تفتش عن شيء ولكن لا تدري ما هو ! استقرت عيونها على حقيبتها ، لابد أن تطمئن على حبيبها ، ماذا جرى له ، ولكن كيف وقد مسحت أرقامه ، بل تخلصت من الشريحة التي كانت همزة الوصل بينهما ، تذكرت أنها احتفظت بها في إحدى الحقائب ، أخذت تفتش كالمجنونة في كل حقائبها ..

ـ هي دي الشنطة اللي كانت معايا أخر يوم ليا عند دكتور سامح ..

وظلت تبحث بيديها وعيونها عن تلك الشريحة المفقودة .. لكنها فشلت ، فسكبت كل محتويات الحقيبة على سريرها ، أخذت تفتش عنها بين كل ذلك العبث الذي تمتلئ به حقيبتها ، تلقي بكل ما تصطدم به يدها على طول ذراعها.

حتى عثرت عليها أخيرا ، كانت مستقرة أسفل كل محتويات الحقيبة ، أمسكت بها وقبلتها ، احتضنتها ، هرعت بها نحو هاتفها النقال ، فتحت غطاء الهاتف ، أخرجت الشريحة الجديدة ، ووضعت بدل منها شريحتها القديمة التي تحتضن قصة حبها . وما أن وضعت الشريحة ، حتى بدأت تخرج من الهاتف أصوات متواصلة لرسائل عبر الوات ساب ، عشرات الرسائل ، وكلها مرسلة من ذلك الحمل الجريح . أخذت تتفحص الرسائل ، رسائل تمتلئ حزن ، توسلات ، أشواق ، نداءات قادمة من أعماق قلبه .. أين أنت يا حبيبتي .. غادرت أرضى بلا مقدمات .. استعجلت الرحيل .. أعشقك .. أموت اشتياقا .. أموت احتراقا .. بعادك كان على عيني .. أين أنت الآن .

ما كان من أميرة إلا أن أرسلت رسالة فحواها .. أنا هنا يا حبيبي .. أين أنت .. أعتذر لك حبيبي لقد خدعونا .. سرقوا أحلامنا الوردية الصغيرة.. سرقونا وباعونا في سوق الرقيق بلا مقابل .. باعوا قصة حبنا في مزاد الفروق الطبقية ، أنا أموت بدونك حبيبي .. أشتاق إليك .

كانت الرسائل تصل ، ولا يوجد رد .. أخذت تبكي وهى تتوسل إليه أن يرد ، أن يعيد الروح إليها .. أن يسامحها .. أن يعلن أنه ما زال يعشقها .. ما زال يريدها .. لم يستسلم ، لم يرفع الراية البيضاء ، ما زالت توأم روحه ، معشوقته .. ابتسامته.. معزوفته .. تغريدته .. لحنه الجميل ..

مرت الدقائق بطيئة ، وحالة أميرة النفسية تترنح ، تنظر إلى الهاتف تتوسل إليه أن يرد ، تضع يدها على بطنها ، تحملق في السقف ، تفتش في رسائله ، تتوسل إلى روحها .. تطالبها بأن تهدأ ،أن تتمهل ، حتما سوف يرد ، يبدو أنه نائم ، الهاتف بعيد عن متناول يده ، كرهت ذلك الهاتف الذي كان السبب في اللقاء والفراق ، لقد كان الصديق والعدو معا . ألقت بالهاتف على سريرها وألقت بجسدها بجواره وبدأت عزف ترنيمة من البكاء ، شعرت أن الغرفة تدور برأسها ، لم يعد لديها الرغبة في الذهاب إلى دكتور عصام ، تجاهلت طرقات أمها على الباب ــ الذي أغلقته خلفها بالمفتاح ــ تطلب منها أن تفتح لكي يذهبا سويا إلى الطبيب . سمعت ذلك الحوار من خلف الباب بين المتآمرين عليها ، رفضت أن تفتح الباب ، أن ترى وجوههما ، أن تبتسم والهموم تحتل جوانحها ، سمعت والدها يقول

ـ سيبيها ترتاح .. أكيد نايمه .. أنا هتصل بدكتور عصام وأحدد معاه ميعاد القيصرية .. وغادر الاثنان باب الغرفة ، فحمدت الله أنهما انصرفا وتركاها بمفردها ، وشرعت في انتظار حبيبها أن يرد على رسائلها ، وأخيرا سمعت صوت رسالة الوات ساب ، انه عمر بالتأكيد ، هرعت نحو الهاتف وقرأت الرسالة في لهفة لكنها لم ترد على رسالته ، بل اتصلت لتسمع صوته تبث له لوعة الفراق ، تسمعه صوتها المجروح ، وتسمع صوته ، عله يخفف عنها بعض ما تعانيه ..

ـ عمر .. أنا هنا يا حبيبي

ـ حبيبك ..أميرة .. أنتي فين .. أخيرا رديتي عليا ..

ـ أيوه يا حبيبي .. أنا عرفت الحقيقة .. عرفت تفاصيل المؤامرة اللي عملوها علشان يبعدونا عن بعض .. سامحني يا حبيبي

ـ سامحيني أنتي يا أميرة .. سامحيني على ضعفي وقلة حيلتي ،أنا خفت عليك وخفت على أهلي من جبروت أهلك

كان صوته ضعيفا متقطع ، يخرجه بصعوبة كان صوت بكاءه أعلى من صوت كلماته المكسورة ، لم تتمالك أميرة نفسها ، ظلت تبكي بحسرة ، لم يكن من عمر إلا أن طلب رؤيتها

ـ أميرة أنا في القاهرة .. محتاج أشوفك .. أبص في عيونك .. أمسك أيدك .. أطلب منك السماح .. أرجوكي ولو دقيقة واحدة بس .. أنتي ما تعرفيش حالتي النفسية .. أنا حاولت الانتحار أكتر من مره .. أقسم بالله حاولت بس فشلت بامتياز ..نفسي أشوفك ولو مره قبل ما أموت..

ـ بعد الشر عنك يا حبيبى .. أرجوك بلاش تهور .. أنا كمان محتاجه أشوفك ..

ـ بجد يا أميرة .. هاشوفك .. هقعد معاكي .. هألمس ايدك .. وأسمع نبض قلبك ..

ـ إيه رأيك نتقابل بكرة الساعة عشرة الصبح في محطة مترو التحرير

ـ هنتظرك من دلوقت ..

ـ مع السلامة يا حبيبي ..

أغلقت الهاتف ، ونزعت الشريحة القديمة ، ووضعت الشريحة الجديدة ودونت رقمه . أنفاسها متقطعة ، السعادة تغمر قلبها ، ستقابل حبيبها ، ستبث له حديث الغرام ، ستطلب

منه السماح ، أن يعودا كما كانا عاشقان ، ستجبر كسر الأيام ، سيعود توأم الروح إلى الروح من جديد

تحركت بصعوبة نحو الباب لتفتحه ، شعرت أن حمزة الراقد بداخل رحمها يتحرك بسرعة ، وكأنه يضربها ، يغار عليها من حبيبها ، يريد أن يخرج ليصفعها على وجهها ، شعرت بالضربات تجتاح بطنها وظهرها ، دوار شديد برأسها ، رغبة في السقوط ، فتحت الباب لكنها توقفت فجأة ، تجمد جسدها الضعيف، دقات قلبها تتسارع ، صارت كتمثال من الثلج ، يوشك على الذوبان ، حينما رأت زوجها أسامة يقف أمامها ، ما أن رأته حتى صعقت وسقطت على الأرض ، ولم تدر بما يدور حولها .

ـ ٢ ـ

رقدت أميرة في سيارة الإسعاف وبجوارها زوجها أسامة يحتل القلق قلبه وعقله ، يمسح بيديه على بطنها ، ليطمئن على ابنه ، وبجواره أمها تبكي وهي تمسح قطرات الماء المتناثرة على جبهتها ، والأب ينظر إلى ساعته وهو يبدأ في محادثة الدكتور عصام عبر الهاتف

ـ أيوه يا دكتور .. إحنا في عربية الإسعاف .. وداخلين على المستشفى .. أرجوك جهز غرفة العمليات .. شكلها عندها نزيف ..

أغلق الهاتف وهو يطالب السائق أن يسرع ، والذي انصاع لأمره وسار بكل سرعته ، حتى وصلت السيارة إلى باب المستشفى ، التي فتحت أبوابها لاستقبال أميرة ، دخلوا بها إلى الاستقبال ومنها إلى غرفة العمليات وأغلق الباب في وجه الجميع ، حتى حضر دكتور عصام ليطمئن الجميع وهو يدخل من باب غرفة العمليات ويغلقه خلفه تاركا الجميع في حالة من الخوف مختلطة بالبكاء ..

جلس أسامة أمام غرفة الولادة في المستشفى وهو في غاية التوتر والقلق لم يكن حال من حوله بأفضل منه ، أنها تعد أول فرصة سينالها هو وزوجته لتنجب له طفل يقر به عينه . كان الجميع ينظرون إليه بحالة من الشفقة ، فكانوا يحاولون رسم ابتسامة صغيرة ، حينما يدور برأسه فيصطدم بعيونهم ، شعر أنه بحاجة إلى تدخين سيجارة أخرج علبة السجائر ، ولكنه اصطدم بتلك اللوحة المكتوب عليها بخط عريض " ممنوع التدخين "، فأدخل علبة السجائر إلى جيبه وأخذ ينفخ في الهواء ، أسند ظهره إلى الحائط .

أما أميرة الراقدة في غرفة العمليات ، فكانت تصرخ من الألم ، تحملق في سقف الغرفة وأشعة النيون تضرب في عينيها ، لم تكن تدري بما يدور حولها ، أخر ما تتذكره أنها قابلت حبيبها ، يبدو أنها كانت تحلم ، لكن الحلم انتهى بكابوس ، حينما فتحت الباب فوجدت أسامة يقف أمامها

هل سمع حوارهما معا ، عرف موعد اللقاء . كم شعرت بالأسى لحالها ، لماذا قررت أن تعود ،لعنة الله عليك يا دكتور سامح ، ما زالت تفكر فيما حدث ، رغم ذلك الألم ودكتور عصام يمسك مشرطه ويفتح أسفل بطنها لإخراج حمزة من رحمها ، بعدما أعطاها جرعة مخدرة .

عقلها ما زال يفكر ، تتمتم بكلمات لا تدري هل يسمعها دكتور عصام ومن حوله ، هل يصل صوتها إلى زوجها أسامة الواقف على باب الغرفة ينتظر صوت حمزة .

أما أسامة فوقف مسندا ظهره إلى الحائط ، حينما قدمت أمه وأخته الكبرى لتطمئن على حالة زوجته ، فطمئنهما أنها في غرفة العمليات ، فجلسا بجواره وصوت الدعوات تتمتم بها أفواه الجميع ، وأسامة سارح في ملكوت الله الواسع ، يدعو الله أن يخرج ابنه إلى النور ، إنها الفرحة التي انتظرها منذ أن تزوج بحبيبته أميرة ، تلك الفرحة التي تمناها بعدما تأكد أنه ابنه من صلبه .

لقد سمع كل حوارات أميرة وعمر وتأكد أنها كانت علاقة عابرة ، لم تخرج عن نطاق الشات والمكالمات الهاتفية ، لم يقترب من بيته ، لم يلمس يدها أو يرى وشاحها الأحمر ، لقد كان ووالدها السبب في كل هذا ، تركاها بمفردها وحيدة ، حتى فتشت عن من يؤنس وحشتها ، حتى لجأت إلى ذلك المشروع المخرب الذي دخل ليدمر حياتنا ، لقد ظنه الجميع ، مواقع تواصل اجتماعي لكنه في الحقيقة .. ضياع اجتماعي ، لقد قرر أن يسوي معاشه ، ويقوم بعمل مشروع في القاهرة ليعيش بجوار زوجته وابنه ، لن يتركهما بعد اليوم ..

استيقظ أسامة على صوت صراخ حمزة من داخل غرفة الولادة ، فشعر بالفرحة تغمر حياته ، سجد لله سجدة شكر ،التفوا الجميع مهنئين وصوت أخته ينطلق بزغاريد الفرحة

ــ مبروك يتربى في عزك ..يا أبوحمزة .

هرع الجميع نحو باب غرفة العمليات ودكتور عصام يخرج وعلى وجهه ابتسامة عريضة ، بعدما أنهى مهمته بنجاح .

ــ مبروك يا أسامه بيه .. ولد زى القمر ..

ــ وأميرة يا دكتور

ــ زى الحصان ..

فرح الجميع ودكتور عصام يتركهم وهم يلتفون حول أسامه يهنئونه بهذا الضيف الجديد.

تحركوا نحو الغرفة التي ترقد فيها أميرة على سريرها ، وبجوارها هذا الملاك الصغير حمزة .

سحبته جدته فريدة ، وحملته بين ذراعيها ، تلعب في أنفه ، في حين أخذه جده فؤاد وأذن في أذنه اليمنى ، وأقام الصلاة في أذنه اليسرى ، ثم أعطاه لجدته أم أسامة والتي قبلته من رأسه ، وهي تسلمه إلى ابنها أسامة الذي كان منشغلا بحبيبته أميرة يمسح قطرات العرق المتناثر على رأسها يقبل يدها .. حتى أعطته أمه حمزة ، فقبله واحتضنه ، وهو يحمد الله ويشكر واسع فضله ..

ــ ٣ ــ

قضت أميرة أسبوعا بالمستشفى حتى يندمل الجرح ، كما تم وضع حمزة تحت الملاحظة ، لإصابته بمرض الصفراء ، فتم وضعه تحت كشاف كهربائي أبيض عدة أيام ، حتى تم شفاءه تماما ، واختفت تلك البقع الصفراء من وجهه الأبيض الصغير ، الذي كان أشبه بوجه قطة صغيرة.

قام دكتور عصام بفك تلك الخيوط التي نتجت عن الولادة القيصرية .

ــ دلوقت نقدر نقولك أتفضلي من غير مطرود ..

ــ وحمزة يا دكتور .. حالته عامله إيه دلوقت؟

ــ تقدري تحكمي بنفسك .. الحمد لله الصفراء اختفت تماما

اطمئن الجميع على حالة أميرة وابنها حمزة ، وقامت أمها وأبيها بمرافقتها إلى البيت ، حتى تظل تحت رعايتهما ، حتى يعود أسامة من معسكره في أجازته الشهرية .

عادت أميرة إلى غرفتها ، لكنها الآن تحمل في أحضانها ابنها حمزة ، ثمرة تلك العلاقة الشرعية بينها وبين زوجها أسامة ، كانت تتأمل ملامحه الصغيرة ، كان أشبه بحبيبها أسامة ، نفس الأنف العالية التي توحي بالشموخ ، والعيون السوداء ، والشعر الناعم القصير ، أخذت تقبله عشرات القبلات في أن واحد ، فتضحك أمها كثيرا

ــ علشان تعرفي غلاوتك عندي .. وعند بابا طبعا

ــ حمد الله على سلامتك يا بنتي .. أخيرا بقيت جد

ــ ربنا يديك الصحة والعافية يا بابا .. وما يحرمني منك

ترددت كثيرا أن تفتح معه موضوع عمر ، تعاتبه على خداعه لها ، هل كان خوفا عليها ، أم حرصا على عدم تدنيس نسب العائلة بهذا الفلاح ، هل ستدور الأيام دورتها وتقف حجر عثرة في طريق ابنها حمزة ، أن يرتبط ببنت أحد الفقراء ، ما هذا الظلم الاجتماعي . لكن يبقى السؤال ، لو وافق أهلها على زواجها من عمر ، هل كانت ستعيش سعيدة ، السعادة ليس لها مقياس ، ليس الزواج أو المال هو مصدر السعادة ، السعادة في الرضا ، ولكن هل كلمت عمر فعلا أم أنه حلم ، لم تكن في وعيها حينها ، تريد أن تتأكد هل كان حلم أم حقيقة .

مر أسبوعان منذ خروج أميرة من المستشفى ، وهي منشغلة بحمزة ، منتظرة عودة أسامة ، ترددت كثيرا أن تعاود فتح صفحة حبها القديم ، لقد حسم حمزة القضية ، لم يعد لعمر مكان في حياتها ، لقد جلس أسامة وحمزة في قلبها لدرجة انه لا يوجد موضع لقدم ، مهما كان هذا الشخص .

لكن إلحاح قلبها كان أقوى منها ، ففي أحد الأيام انتظرت حتى خرج الجميع من غرفتها وبقيت بمفردها ، هرعت نحو حقيبتها تفتش عن تلك الشريحة التي كانت تربطهما برباط العشق ، فتشت عنها كثيرا حتى وجدتها في قاع الحقيبة أخرجتها ونظرت إليها كثيرا ، ترددت أن تضعها في الهاتف النقال ، تريد فقط أن تتأكد هل كلمت عمر فعلا أم كان وهم من الإرهاق وتعب الحمل والولادة ، ألقت بالشريحة على السرير لكنها سمعت صوت عمر يناديها :

ــ أنا منتظرك في محطة التحرير كما اتفقنا .

الصوت يرن في أذنها بشدة ، وقلبها يلح عليها أن تضع الشريحة ، لكنها تنظر إلى حمزة ، تتأمل ملامحه ، البريئة

تتأمل صورتها في ليلة زفافها وهى تتأبط أسامة ، تتذكر اعترافات عمر وتفاصيل تلك المؤامرة . تنهدت قليلا وهي تلتقط الشريحة وتضعها في هاتفها ، وما أن وضعتها حتى بدأت تخرج من الهاتف أصوات متواصلة لرسائل عبر الوات ساب ، عشرات الرسائل بدأت تقرأ ، انه عمر يذكرها بموعدهما معا الساعة العاشرة صباحا بمحطة مترو التحرير

مر شهر على الموعد الذي اتفقا عليه ، والرسائل لم تنقطع يوما ، كل يوم كل ساعة كل دقيقة ، حتى بدأت تتحول الرسائل إلى رسائل جنونية ، شرع يهددها إن لم تأتي إليه ، سيذهب إلى بيت أبيها ليراها بالقوة ، سيقابل زوجها أسامة ويخبره بقصة حبهما ، وليكن ما يكون ، لن يسمح للظروف أن تفرق بينهما للأبد . انه ما زال ينتظرها كل يوم في محطة المترو، نظرت في ساعتها فوجدتها تقترب من الخامسة مساء.ارتدت ملابسها على عجل ، وهرعت إلى خارج غرفتها، اصطدمت بأمها على درجات السلم،فلم تشعر بها،نادت عليها وهي في غاية الاندهاش من منظر ابنتها

ــ في إيه يا أميرة .. بتجري رايحه فين ..خالك شكري هنا

لم تسمع صوتها ، لم ترد عليها ، كل ما كان يشغل بالها أن تلحق بعمر على رصيف محطة التحرير ، تريد أن تراه ، تقنعه أن ما بينهما كان مجرد حب لم تقبله الظروف ، فليرضى الجميع بما قسم الله له ، تريد أن تقنعه بأن يرحل إلى بلاده ، أن يعتبر ما بينهما ذكرى .

ـ ٤ ـ

منذ أن وعدته أميرة أن تأتي ليلتقيا على رصيف محطة مترو التحرير ، وعمر لم ينقطع يوما عن الموعد ، يأتي إلى محطة المترو من العاشرة صباحا حتى المساء .

ترك كل شيء خلفه ، حياته وعمله وزوجته وابنته ، وهرول لينتظر طلتها الساحرة ، يلمس يدها ، يشتم رائحتها ، يشعر بدفء أنفاسها ، يجلسا معا على رصيف المحطة ينتظران القطار الذي لم يأتي بعد ، ليأخذهما إلى جنة الخلد. ، يطل برأسه عبر النافذة على رصيف المحطة كل يوم يبحث عنها بين وجوه البنات اللواتي ينتظرن ركوب المترو .. كل يوم ينزل ويبحث عنها ينتظرها حتى تطل كنسمة في صيف شديد الحرارة كوردة في بستان خريفي الأجواء .

حينما اقتربت محطة التحرير قام مفزوعا متجها نحو الباب ظل ساعات يفتش في وجوه البنات ، تذكر ذلك الوشاح الأحمر الذي كانت تخبره دوما أن أول لقاء بينهما سترتدي وشاحا أحمر . انتهى النهار ومالت الشمس نحو الغروب ومع انكسار الضوء وقبل أن تضاء أضواء المترو بأشعة النيون التي يكرهها والتي تذكره بدخول الليل ، وبداية صراعه مع حرمانه من قمر حياته الوردي ، رآها كبدر في ليلة التمام محاط بالشفق الأحمر ،التقى بعيونها التي حرم منها دون مبرر، ابتسمت كملاك وكشفت عن اللؤلؤ المرصوص كقطعة فنية محاطة ببرواز أحمر جميل .

اقترب منها حاول أن يحادثها ولكنه تسمر مكانه ، وقفت العبارات في حلقه ، تجمدت مفاصله رغم حرارة الصيف .. مرت من أمامه وكأنها لا تعرفه ، فهرول خلفها

ـ أميرة .. أميرة

التفتت نحوه ، فشعر بأن روحه تصعد إلى السماء ، وامتلكته رعشة قوية هزت أوصال جسده الواهن ، بدا على وجهها علامات الاستنكار، لكنه ألح في تذكيرها بنفسه ، عشرات المواقف والعبارات ، لكن النسيان هو سيد الموقف ، والنكران هو الرد الدائم ، فأشار إلى الوشاح الأحمر الذي اتفقا أن ترديه يوم لقاءهما ، وبدأت تتحول حالته، فبدا كمجنون فقد عقله للتو ، فأشار إلى رأسها

ـ الوشاح الأحمر

فنزعت الوشاح الأحمر عن رأسها ، وأطاحت به بعيدا ، فطار في الهواء ، واستقر على قضبان المترو،وهى تصرخ في وجهه

ــ وادي الوشاح الأحمر .

سُمعت أصوات صراخ ، وتجمع رواد المترو على قضبان المترو في ذهول .. وتبادلت العبارات فيما بينهم ..

وصلت أميرة إلى محطة المترو ، ارتقت سلالمه بسرعة ، تفتش عن عمر بين وجوه الركاب ، الذين يتوافدون على المحطة ، ولكنها فشلت في الوصول إليه ، ترن على هاتفه النقال فترد تلك السيدة القابعة بداخل الهاتف

ــ الهاتف المطلوب مغلق أو غير متاح

فجن جنونها ، اقتربت أكثر من الرصيف ، فلمحت من بعيد تجمهر الركاب على رصيف المحطة ، وعلى القضبان ، اقتربت من أحد الواقفين على الرصيف

ــ هو في إيه حضرتك ؟

أشار بيده نحو القضبان الحديدية أسفل المترو

ــ مجنون .. فضل يصرخ ويكلم نفسه بصوت عال مخيف .. وبعدين رمى نفسه تحت عجلات المترو.

هرعت نحو مكان الحادث ، فرأت جمهرة من البشر ملتفون حول بقايا ذلك الشخص ، يضعون أوراق الجرائد على بقايا جثته المتناثرة على القضبان الحديدية ،اقشعر جسدها وأغمضت عيونها ، همت بالانصراف عن ذلك المشهد المرعب ، غير أنها قبل أن تلتفت بوجهها فتحت عيونها ، بينما الهواء يطيح ورقة الجريدة عن وجه ذلك الرجل ، فظهر الوجه أمامها واضحا وضوح الشمس ، انه حبيبها عمر بشعره الأسود ، بوسامته الجذابة والتي زادتها شاربه ولحيته الخفيفة ، يسيل الدم من جبهته ، يفتح عيونه السوداء بذهول ، وعلى وجهه ابتسامة مجهولة الهوية ، لم تشعر إلا وهى تهبط إلى أسفل الرصيف بجوار جسده الممزق على القضبان ، أمسكت بقايا وجهه وهى تصرخ ، قبلت رأسه والدموع تغرق خديها

سمعت أصوات من حولها ..إنتي تعرفيه يا هانم .. الظاهر قريبها .. تلاقيه جوزها .. الدنيا مليانه .. ربنا يسترها

لكنها لم تلتفت إلى كلماتهم التي تملؤها الشفقة ، لكن وسط تلك الأصوات المختلطة ، وصل إلى أذنها صوت أبيها ينادي عليها ، رفعت رأسها إلى أعلى ، فوجدت والدها فؤاد شهاب يقف على الرصيف وبجواره والدتها فريدة المراسي ، وخالها شكري المراسي ، هؤلاء الجناة الذين أودعوا قصة حبهما إلى المهالك ، الثلاثي الذي تأمر لإنهاء تلك القصة بكل قسوة . نزل والدها إليها ، سحبها من ذراعيها ، فتحركت معه كالمنومة ، صعدت إلى رصيف المحطة ، وسارت معهم وهي تلقي نظرة أخيرة على جسد حبيبها المتناثرة على القضبان ، ورأسه التي ظلت على حالتها ، لكي تراها لأول وأخر مرة في حياتها

ما أن تحركوا عدة خطوات حتى رأت أسامة زوجها يحتضن صغيرهما حمزة ، هرولت نحوه وأخذته من بين ذراعيه ، واحتضنه ، وسارت بجواره بعيده عنهم إلى أخر الرصيف وهى تلقى نظرة أخيرة على رصيف مترو التحرير ، الذي يرقد على عتباته حبيبها .

ـ تمت ـ